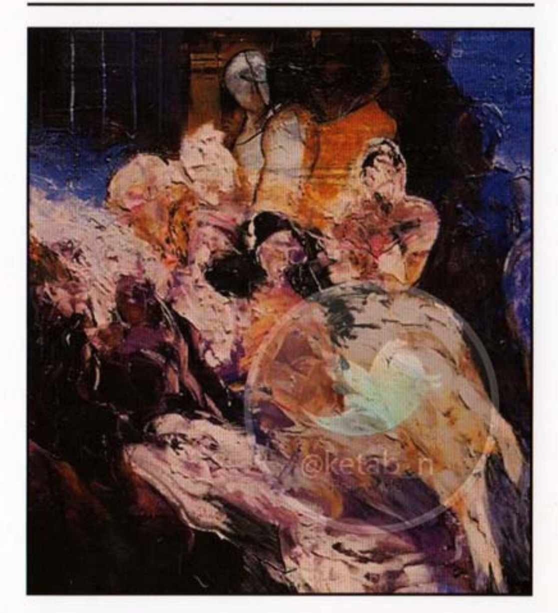


جُونيشيرُو تانيزاكي

اعترافات خارجة عن الحياء

رواية





ترجمة: عدنان محمد

جونيشيرو تانيزاكي

اعترافات خارجة عن الحياء

رواية

ترجمة: عدنان محمّد

اعترافات خارجة عن الحياء

- د.ونيشيرو تانيزاكي
- اعترافات خارجة عن الحياء
- ترجمة: عدنان محمّد

- الطبعة الأولى 2008
- موافقة وزارة الإعلام رقم 100150
- الناشـــــــر: ورد للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع

سوريـــة ـ دمشق ☎ 5141441

- الاستشارة الأدبية: حيدر حيدر
- الإشـــراف الفني: د. مجد حيدر
- التوزيـــــــــع: دار ورد ☎ 5141441 ص. ب 30249

من الزوجين خفيةً عن الآخر، وهو يعرف تماماً أنه يقرؤها خلسةً. ولعلّ الأكاذيب التي يراكمها كل منهما لكي يخدع الآخر تجعل القصة أكثر وخزاً.

لقد عالج تانيزاكي هذه التيمةَ الدقيقة معالجةً حاذقة تحبس أنفاس القارئ بين دفّتي الكتاب.

ولد جونيشيرو تانيزاكي في طوكيو عام 1886، وتوفّي عام 1965، وقد شغل مكانةً مرموقة في الأدب الياباني. انجذب في شبابه إلى الأدب الغربي الذي كان يعرفه معرفة جيدة (فقد كان عضواً فخرياً في الأكاديمية الأمريكية والمعهد الوطني للفنون والآداب National Institute Of Art and Letters)، وحين بلغ سن النضج عاد إلى الاحتفاء بالقيم التقليدية في اليابان.

1 كانون الثاني

منذ الآن، قرّرتُ أن أدون في هذه المذكّرات أشياءَ لا أجرؤ حتى الآن على التصريح بها إليها. فأنا لم أكن أريد أن أتكلّم بطريقة دقيقة عن علاقاتي الحميمة مع زوجتي. وكنتُ أخشى أن تغضب إذا ما قرأتْ هذه المذكرات خلسةً. ولكن بدءاً من هذه السنة، قرّرتُ ألا أخاف من غضبها. وأنا واثق من أنها تعلم أني أُخفي هذا الدفتر في أحد أدراج مكتبي.

يجب أن أُشير إلى أنها سليلة أسرة عريقة من كيوتو، بقيت وفيَّةً للعادات القديمة؛ فقد تربّت في جوٍّ إقطاعي متخلّف، وتخلّقت أخلاقاً بالية. وبما أنها تميل أحياناً إلى التباهي بأخلاقها تلك، فإني لا أصدّق بسهولة أنها تسرق مني هذه المذكرات لتقرأها في الخفاء. ولكن بالمقابل، لدي أسبابي التي تجعلني أذهب إلى هذا الظن. وبعكس عاداتي، إذا ما سجّلتُ منذ الآن كل أنواع التفصيلات المتعلّقة بحياتنا الحميمة، فهل ستستطيع أن تتغلّب على إغواء السعي إلى اكتشاف أسرار زوجها؟ هي بطبيعتها تهوى السرّية والتكتّم، وحتى الأمور التي تعرفها، تتظاهر بأنها تجهلها. وما في قلبها لا يصعد بسهولةٍ

إلى شفتيها. وأسوأ ما في الأمر هو أنها تتخيّل أن هذا التحفّظ يناسب النساء.

على الرغم من أن مفتاح الدرج الذي أخبّئ فيه مذكراتي مخبّأ، وأني أغيّر المخبأ من وقت إلى آخر، فمن المحتمَل أن تكون زوجتي الفضولية على علم بكل الأماكن التي استخدمتُها حتى الآن. ودون أن نذهب بعيداً، يمكنها أن تستخدم ما تشاء من نسخ المفاتيح التي تريد.

قلت إني لم أعد أخشى أن تُقرَأ مذكّراتي بعد الآن، ولكن في الواقع، لم أكن أخشى ذلك حتى الآن، أو بالأحرى كنتُ أتوقّع أن أكون كذلك سرّاً. ولكن لماذا أقفلتُ الدرج بالمفتاح وخبّأتُ مفتاحه؟

ربما كان ذلك لإشباع هوسها في النبش. إذا ما تركتُ عامداً هذه المذكرات في متناول عينيها، فستظن: «إنها مذكِّرات مكتوبة لكي أقرأها!» ولن تصدّق كلمة مما هو مكتوب. وربما ستظن: «أليس هناك إلا هذه؟ ألا يوجد مذكرات أخرى مخبَّأة في مكانٍ ما؟».

إيكو ـ كو! يا زوجتي العزيزة التي أحبّ، لستُ أدري إن كنتِ تقرئين هذه المذكرات خلسةً. لا فائدة من سؤالك، لأنك ستجيبينني: «أنا لا أسرق مذكرات شخص آخر لكي أقرأها». ولكن إن كنتِ تقرئينها، فصدّقيني أن هذه المذكرات لا تحوي شيئاً من الخيال، وكل ما فيها صحيح وحقيقي.

لن أضيف شيئاً: عندما نتكلّم هكذا مع شخص عديم التصديق فإننا نزيد من شكوكه. وبدلاً من ذلك، إذا ما تجشّمتِ عناء قراءة هذه المذكرات، فسيبيّن لكِ فحواها بوضوح إن كان مبنيّاً على أكاذيب أم لا.

من الطبيعي أني لا أنوي أن أكتب هنا إلا الأشياء التي لا تعجب زوجتي. يجب أن أكتب أشياء تزعجها وتخدش أذنيها. وما منعني من الكتابة بهذه الطريقة حتى الآن هو تحفّظها المفرط، وقلّة فضولها فيما يخصّ أحاديثَ مخدع النوم بين الزوجين التي تراها غير لائقة. وإذا ما بدأتُ مرةً قصةً خطرةً فإنها تسدّ أذنيها.

إن لياقتها المدّعاة ودأبها الخبيث في أن تراعي ما يناسب المرأة، وحبّها المفتعَل لما هو راقٍ، لهي أساس ما نحن فيه. نحن متزوّجان منذ نحو عشرين سنة، ولدينا فتاةٌ في سن الزواج. ومع ذلك فإننا ننام في السرير ونؤدّي واجباتنا بصمت دون أن نتبادل أحاديث العشّاق الصادقة؛ أتُرانا نشبه الزوجين؟

أنا أكتب ما أكتبه الآن لأني لم أعد أطيق ألا يكون لي مع زوجتي أحاديث غرامية مباشرة. منذ الآن، ودون أن أعبَأ إن كانت ستقرأ هذه المذكّرات سرّاً أم لا، فإني سأكتبها مع إحساسي بأني أبدأ معها حديثاً غير مباشر.

قبل كل شيء، يجب أن أعترف أني مدلّه بزوجتي كثيراً، ولقد كتبتُ ذلك مراراً. وأعتقد أن زوجتي تعرف جيداً أني لا أكذب. كل ما في الأمر، أن قوّتي لم تعد تسمح لي برغبات شبيهة برغباتها؛ من هذه الناحية، لا أستطيع أن أقيس نفسي بها. فسوف أبلغ سن السادسة والخمسين هذه السنة (وسنّها يناهز الخامسة والأربعين)؛ ليست هذه السن سنّاً يضعف فيها الإنسان؛ ولكن لماذا يضعفني هذا الفعل بهذه السهولة؟ ولكي أكون صريحاً، مرةً واحدةً في الأسبوع، أو بالأحرى مرة كل عشرة أيام هو الإيقاع الذي يناسبني. ولكنَّ الكتابةَ بفجاجةٍ عن هذا الموضوع، أو التحدّثَ عنه، أمرٌ تمقته زوجتي أشدّ المقت.

ورغم أن زوجتي مصابة بداء السِلعة[*] وذات قلب ضعيف، فإنها قوية جداً في هذه المسائل. في هذه اللحظة أنا حائر جداً لأني لا أملك عذراً في ألا أتمكّن من أداء واجباتي الزوجية، وإن قالت لي: «عظيم!» وإن (ربما ستغضب وتقول إني أعدّها امرأةً فاسدة) لجأتْ إلى رجل آخر لكي يعوّض نقصي، فلن أتحمّل هذا الوضع. أشعر أن الغيرة تتملّكني بمجرّد أن أتخيّل فرضيةً كهذه! وبخصوص صحّتها، ألن أتمكّن من أن أسكّن، بقدرٍ ما، رغباتها المرَضيّة؟ ما يزعجني هو أن قواي تنحطّ سنةً بعد سنة. وفي هذه الآونة الأخير بتُّ أحسّ بوهنٍ كبير بعد كل معاشرة؛ وهذا اليوم بالذات شعرتُ بالإنهاك طوال النهار حتى أني لم أجد القوة لكي أفكّر.

وإذا سئلتُ إن كنتُ أخاف معاشرتها، فسأجيب مباشرةً لا، والعكس هو الصحيح. وليس الواجب الزوجي هو الذي يدفعني ويثير حواسّي ويجعلني ألبّي رغباتها رغماً عني. هل هذا مصدر سعادتي أم تعاستي؟ إني أحبّها حبّاً متأجّجاً.

ويجب عليّ، في هذا المقام، أن أبينّ أمراً هي تتحفّظ في التحدّث عنه. إن لها جمالاً مميَّزاً لا تهتمّ به. ولو لم تكن لديّ تجارب سابقة في علاقات مع نساء كثيرات، ربما ما كان بوسعي أن ألاحظ هذه الخصوصية، ولكن بما أني تمتّعتُ في شبابي، فإني أعرف أن لها فرجاً قلّ نظيره عند النساء. ولو أنها بيعت في الماضي في حي للملذّات كحي شيمابارا، لتمتَّعت بشهرة فائقة، ولتدفّق الزبائن عليها أيّما تدفّقٍ، ولتخاصموا على ملذّاتها. (ربما من الأفضل ألا تعرف ذلك؛ فإن عرفت ذلك قد يترتّب على معرفتها تلك نتائج مقلقة بالنسبة إليّ. هل ستفرح؟ أم

(*) داء السلعة هو عبارة عن سلّ الطفولة والمراهقة، ويظهر على شكل انتفاخات غُقدية.

ستخجل؟ وقد تعدّ ذلك شتيمة؟ وعلى الرغم من أنها ستتّخذ هيئةً غاضبة، فمن المحتمل ألا تتمكّن من أن تمنع نفسها من شعور داخلي بالزهو). يكفيني أن أفكّر بروعة مفاتنها لكي تثور غيرتي. ترى ماذا سيحصل إذا عرف رجلٌ سوايَ هذه المفاتن، وإذا علمت زوجتي أني لا أحفل بالموهبة التي حَبَتْها إياها السماء؟ هذه الفكرة تؤرّقني. أشعر أني مليء بالأخطاء تجاه زوجتي. واللوم الذي أوجّهه لنفسي لا يُطاق. لذا فإني أسعى إلى الإثارة بشتى الطرق. على سبيل المثال أرجوها أن تُثير النقاط الأكثر حساسيةً في جسمي: وأشعر بلذة فائقة عندما أغمض عينيّ وهي تلثم أجفاني؛ وبالمقابل فإني أثيرها في النقاط الأكثر حساسيةً: فهي تحبّ أن أقبّلها تحت إبطيها. ولكنها لا تستجيب لمتطلّباتي طوعاً، وتقول إنها لا تحبّذ أن تنغمس في «هذه الألعاب غير الطبيعية»، وتفضّل عليها القيام بالطريقة التقليدية، وتعاند وهي تتمسّك بأهداب «اللياقة التي تناسب المرأة» وتكره كل ما عدا ذلك.

تعرف زوجتي أني شخصٌ مهووس بالقدمين، وتعرف أيضاً أن لديها قدمين رائعتي الشكل (لا أصدّق أنهما قدما امرأة في الخامسة والأربعين)، ولكن بالضبط لأنها تعرف ذلك فهي لا تُظهر قدميها إلا نادراً. إنها تلبس تابي(*) حتى في عزّ الصيف. وإذا ما رجوتها أن أقبّل عنق قدمها، تدفعني قائلةً: «فعل قذر! لاأحد يلمس هذه المناطق!» هكذا تتبدّى حيرتي فيما أفعل.

وأنا خجل بعض الشيء من أن أبدأ السنة بعرض شكاوى كهذه، ومع ذلك، أرى من المناسب أن أكتب عن هذه الأمور. غداً

(*) جوارب قصيرة ينفصل فيها الإبهام عن بقية أصابع القدمين.

مساء سنحتفل بالعام الجديد؛ وزوجتي، التي تحبّ التقاليد، لا تريد أن تفوّت الاحتفال بهذه المناسبة احتفالاً لائقاً ككل سنة.

4 كانون الثاني

اليوم حصل لي أمرٌ غريب. طوال ثلاثة أيام لم أرتّب المكتب؛ وبما أن زوجي ذهب للتنزّه بعد الظهر، دخلتُ إليه لأنظّفه. سقط مفتاحٌ أمام المكتبة التي وُضعت عليها مزهرية ذات عنق طويل ودقيق غرستُ فيها نرجسة. ربما لم يكن للأمر أية أهمية. ومع ذلك لا أستطيع أن أتخيّل أن زوجي، ودون أي سبب، مهملٌ إلى درجة أنه يترك هذا المفتاح على الأرض، لأنه شخص حريص جداً. ثم إنه لم يترك مفتاحه يسقط مرةً واحدة طوال السنوات التي أخذ يكتب فيها مذكراته. منذ زمن طويل جداً وأنا أعرف طبعاً أنه يكتب مذكّراته، ويضعها في درج الطاولة الصغيرة، وأنه يخبّئ هذا المفتاح بين كتب مكتبته الكثيرة، وأحياناً تحت السجّادة. ومع ذلك، أنا أميّز بين ما أستطيع أن أعرفه وبين ما لا يجب عليّ أن أعرفه.

أعرف مكان المذكّرات والمكان الذي خُبّئ فيه المفتاح فقط. لم أفتح هذا الدفتر قطّ لكي أقرأ فحواه. ومع ذلك، فإن ما يغيظني هو أن زوجي الذي وُلد بطبعٍ شكّاك لن يهدأ له بال إذا لم يُقفل على دفتره بالمفتاحِ ويخبّئ المفتاح في مكانٍ ما. فلماذا ترك اليومَ مفتاحه أرضاً؟ وما الذي أحدث هذا التحوّل في تفكيره؟ وهل صار يرى أن من المناسب له أن أقرأ مذكّراته؟ هل يعتقد أنه لو قال لي مباشرةً: «اقرئيها!» ربما لن أقرأها؟ إذن ألم يقصد: «إذا كنتِ ترغبين في قراءتها، فاقرئيها خفيةً، فهذا هو المفتاح»؟ لا ليس كذلك، بل ربما قصد: «أقبل من الآن فصاعداً

أن تقرئي هذه المذكرات خفيةً، أقبل ذلك ولكني سأتظاهر بأني لا أعرف».

على أية حال، الأمر لا يهمني. حتى لو كان الأمر كذلك الآن فلن أقرأ هذه المذكّرات. لا أريد أن أتخطى الحدود التي وضعتُها بنفسي لنفسي وأنا ألِج إلى أسرار نفس زوجي. وكما إني لا أحبّ أن أميط للآخرين اللثام عما يعتمل في نفسي، فإني لست فضولية لأعرف ما في نفوس الآخرين. والأكثر من ذلك، إذا كان يرغب في أن أقرأ هذه المذكّرات، فربما احتوت أكاذيب. وقد لا يكون كتب فيها بالضرورة أشياء تعجبني فقط. فزوجي يستطيع أن يكتب وأن يفكّر كما يحلو له، وأنا كذلك الأمر. الحقيقة هي أني، أنا أيضاً، بدأتُ كتابة مذكّراتي هذه السنة. فالأشخاص من أمثالي، ممن لا يتكلّمون في شؤونهم للآخرين، يحتاجون إلى أن يتكلّموا مع أنفسهم على الأقل. ولكني لن أرتكب حماقة تجعل زوجي يشكّ في أني أكتب مذكّراتي. سأكتب في أثناء غياباته، وسأخبّئها في مكان لا علم له به أبداً.

السبب الأول الذي دعاني إلى كتابة هذه المذكرات، هو أني أعرف مكان مذكّرات زوجي، في حين أنه لا يعرف حتى إن كنتُ أكتب مذكّراتي، وهذا التفوّق يريحني إلى أقصى الدرجات.

أول أمس احتفلتُ بالعام الجديد. آه! كم من المخجل أن أبوح لقلمي بأمرٍ كهذا!... فقد كان المرحوم أبي يذكّرنا بهذه الحكمة: «كوني مستقيمة، حتى لو كنتِ بمفردك!» لو يراني الآن، فكم سيستاء من انحطاطي الخُلُقي! بدا أن زوجي قد وصل إلى نشوته، أما أنا، فكعادتي لم أرتوِ بعد. وما تلا ذلك لم أكن أطيقه. يبقى زوجي مرتبكاً بسبب نقص قواه، ويعتذر عن ذلك في كل مرة. ويلومني لأني كنتُ باردةً معه. يقصد أني، بحسب كلامه، ذات معاناة لا مثيل لها، وذات قوة مَرَضية في هذا المجال، ولكن

طريقتي في التصرّف روتينية جداً، وتقليدية جداً وشكلية جداً، وخالية من أي تنوّع. بالنسبة لأمور الحياة العادية أنا سلبية، ومتحفّظة جداً؛ هنا فقط أنا متطلّبة، ولكن منذ عشرين سنة لم أخرج عن الأسلوب نفسه والموقف عينه.

ومع ذلك، فإنه لم يتغافلٍ عن أدنى دعوة صامتة مني. وسرعان ما يستشفّ أبسط تجلٍّ لرغائبي. من المحتمل أن يتأتّى ذلك من الخوف المجنون الذي يستشعره أمام تطلّباتي المفرطة والمتكرّرة. يبدو أني أتشبّث بعناد بلذّتي وأني لا أرحم. يقول لي: «أنتِ لا تحبّينني نصف ما أحبّك! وما أنا بالنسبة إليكِ إلا أداة للمنفعة، وأداة ناقصة. لو كنتِ تحبّينني حقاً لأبدَيتِ هوًى أكثر وللبّيتِ أي طلب من طلباتي. وإن كنتُ لا أرويكِ فنصف السبب يقع عليك. لو كنتِ تثيرين قوتي إثارةً أفضل لما بقيتُ هكذا، خائر القوى. أنتِ لا تبذلين أي جهدٍ لتتعاوني كما يجب في هذه الأمور. أنتِ تتصرّفين كنهمةٍ تنتظر مكتوفةَ اليدين أن تتناول الطعام على مائدة ممدودة. أنتِ حيوان ذو دم بارد، أنتِ امرأة سيئة الأساس».

زوجي ليس مخطئاً كل الخطأ حين يراني من هذه الناحية. هكذا أنا؛ ومع ذلك، لا يجدر بالمرأة أن تُبدي مشاعرها أبداً؛ ويجب ألا تأخذ زمام المبادرة نحو زوجها، هذا ما تعلّمتُه من أهلي الذين كانوا متعلّقين بأفكار الماضي. لن أقول إني عديمة المشاعر، ولكن مشاعري أنا داخلية، ومخبّأة في أعمق أعماقي، ولا تظهر إلى الخارج. وإذا ما أرغمتُها على الظهور فستنطفئ في اللحظة نفسها. مشاعري تشتعل بلهب أزرق وأبيض، وليس بلهب يتصاعد صعوداً واضحاً. وهذا ما لا يفهمه زوجي.

في الآونة الأخيرة، أخذتُ أتساءل شيئاً فشيئاً ما إذا كان زواجنا خطأً. أما كان يلزمني شريك مناسبٌ أكثر، وكذلك الأمر

بالنسبة لزوجي؟ أنا وزوجي نمتلك ذوقين متعارضين تماماً من الناحية الجنسية. لقد تزوّجت منه بلا تفكير، تزوّجت كما أمرني بذلك أبي وأمي. كنتُ أعتقد أن الزواج يمكن أن يتم هكذا، أما اليوم، عندما أفكّر فيه، أرى أني اخترتُ زوجاً لا تتّفق طباعه مع طباعي بأية حالٍ من الأحوال.

وبما أن هذا الزوج هو من اخترتُه، ما عاد هناك من شيء يمكن القيام به، وأنا أتحمّله. ولكن عندما أنظر إلى وجهه بين الفينة والأخرى، ينتابني غثيانٌ لا أجد له تفسيراً. وهذا الشعور بالاشمئزاز لم يأتِني منذ عهد قريب، بل انتابني منذ أول ليلةٍ بيننا عندما اقتسمنا المخدع نفسه. في ذلك المساء، مساء أول ليلة من شهر العسل، وهي تعود إلى زمن غابر، عندما نمتُ في السرير، ورأيتُه ينزع نظارة حسر البصر، أحسستُ ببردٍ يتغلغل في ظهري، ما أزال أذكره حتى اليوم. عندما ينزع رجلٌ نظارته التي يضعها باستمرار فإن وجهه يبدو غريباً، ووجه زوجي اتّخذ مظهر الجبس، مظهراً جثثياً. أدنى وجهه مني إلى أقصى حد كما لو أنه كان يريد أن يثقبني بنظراته. غمزتُ بعينيّ فرأيتُ في تلك اللحظة أن لوجهه بريقَ الألمنيوم؛ فانتابتني القُشعريرة من جديد. لم أكن قد لاحظتُ ذلك في النهار، بل كنتُ ألاحظ الظل الخفيف الذي تُحدثه تحت أنفه وحول شفتيه لحيتُه التي بدأت تظهر (شعره قاسٍ جداً)؛ ونما لدي انطباع غير مستحبّ؛ ربما كان مردّ ذلك أني كنتُ أرى أولَ مرةٍ وجهَ رجلٍ من هذه المسافة القريبة جداً، ولكن حتى اليوم فإني أرتعش عندما أنظر إلى وجه زوجي طويلاً في النور. ولئلا أراه أطفئ مصباح السرير، ولكنه بعكسي يصرّ على إنارة الغرفة في هذه اللحظات. يريد أن يرى بالتفصيل تفاصيل جسمي كلّها (نادراً ما ألبّي طلباته تلك، ولكن من أجل القدمين بالتحديد كان يصرّ إصراراً غريباً حتى إني كنتُ

أضطرّ للرضوخ). لا أعرف رجلاً سوى زوجي، ولكني أتساءل إن كان الرجال جميعاً مزعجين مثله. هل تجري العادة لديهم في أن يكونوا مُضجرين بحيث أنهم ينصرفون إلى هذه الألعاب التافهة؟

7 كانون الثاني

اليوم أتى كيمورا ليقدّم أمنياته بالعام الجديد. كنتُ أتأهّب لقراءة «الحَرَم» لفوكنر، حيّيتُه باقتضاب ثم دخلت إلى مكتبي. تحدّث لبعض الوقت مع زوجتي ومع توشي ـ كو، ولكن عند الساعة الثالثة قرّروا أن يذهبوا لمشاهدة فيلم سابورينا الرائع فغادروا البيت جميعاً. وعند السادسة عادوا معاً. تعشّينا جميعاً ثم تحدّثنا حتى تجاوزت الساعة التاسعة. في أثناء العشاء شربنا جميعاً الكونياك باستثناء توشي ـ كو. ففي الآونة الأخيرة، لاحظتُ أن إيكو ـ كو بدأت تحبّ الكحول قليلاً. أنا من حبّبتُ لها الكحول، ولكنها تشربه بمزاج معيّن، وإذا ما قُدّم لها فإنها تستطيع أن تشرب منه كميةً لا بأس بها بصمت. تثمل قليلاً، ولكنه ثَمَل يبقى مستتراً، ولا يُظهِر شيئاً إلى الخارج. إنها تتحمّل الكحول بهدوء ولزمن طويل، ولا أحد تقريباً يلاحظ ذلك عليها. هذا المساء، قدّم لها كيمورا قدحين ونصف في كأس شيري. شحب وجه زوجتي وبدا عليه السُّكْر، بعكس وجهي ووجه كيمورا اللذين ظهر عليهما الاحمرار. وكيمورا لا يفرط في الشراب، وهو أقلّ تحمّلاً للكحول من زوجتي. أليست هذه هي المرة الأولى التي تقبل فيها زوجتي الكونياك من يد رجلٍ سواي؟ بدأ كيمورا بتقديم كأس لتوشي ـ كو لكنها رفضته قائلة: «آه، ليس لي، قدّمه لأمي!» كنتُ قد شعرتُ أن توشي ـ كو تهرب من كيمورا. ولكن ألم تلاحظ زوجتي أن كيمورا يميل إلى أن يُبدي

وداً للأم أكثر منه للفتاة؟ فكّرتُ ربما كان هذا بتأثيرٍ من غيرتي، واجتهدتُ في إخفاء هذه الفكرة من رأسي. ومع ذلك، يبدو جيداً أن الأمر كذلك. فبصورة عامة زوجتي ليست لطيفة مع الضيوف، وبصورة خاصة هي لا تحبّ استقبال الرجال، ولكنها لا تبدو لطيفة إلا مع كيمورا. لا توشي ـ كو ولا زوجتي ولا أنا تحدّثنا حول هذا الموضوع علناً، ولكن في الواقع إن كيمورا يشبه جيمس ستيورات. وأنا أعرف أن زوجتي تحب هذا الممثل (هي لم تقل لي ذلك أبداً، ولكن يبدو لي أنها ذهبت لمشاهدة أفلامه جميعاً ولم تفوّت فيلماً واحداً).

طبعاً إذا كانت زوجتي قد رأت كيمورا كثيراً، فذلك أني أريد أن أعرف رأيها في زواجه من توشي ـ كو وأني قلتُ لها أن تدعوه إلى البيت وأن تراقب الاثنين دون أن تُظهر ذلك. على أية حال، لا يبدو أن توشي ـ كو تعير اهتماماً كبيراً لمشروع الزواج هذا. إنها تتصرّف بحيث أنها لا تكون وحيدةً مع كيمورا، وبحيث يكونون دائماً ثلاثة، مع إيكو ـ كو، عندما يتحدّثون في الصالون لكي تصحب معها أمها إلى السينما. قلت لزوجتي: «أنتِ لاتتركينهما، وهذا أمر سيئ. اتركيهما يخرجان بمفردهما». ولكنها ترى الأمور بصورة مختلفة فتقول: «بوصفي أمّاً، عليّ واجب مراقبتهما». «أنتِ لا تعرفين العادات الحديثة: يجب أن تثقي بهما». «هذا رأيي تماماً، ولكن توشي ـ كو تطلب مني أن أرافقهما». إذا كانت توشي ـ كو تتصرّف حقاً على هذا النحو، أليس ذلك لأنها لاحظت أن أمّها تميل إلى كيمورا أكثر منها، وأنها تريد أن تكون وسيطةً بينهما؟ إني أتساءل ما إذا كان بين توشي ـ كو وأمها اتفاقٌ خفيٌّ حول هذا الموضوع. ربما لا تنتبه زوجتي لهذا الأمر، وتريد أن تراقب الشابّين، ولكن في الواقع، هي تتصرّف وكأنها تحب كيمورا.

سكرتُ من جديد مساء أمس. ولكن زوجي كان سكراناً أكثر مني. ألحّ عليّ لكي أقبّل أجفانه، الأمر الذي لم يعد يطلبه مني في الآونة الأخيرة. وبما أن جرعة الكونياك الكبيرة أفقدتني صوابي قليلاً، فقد لبّيتُ رغبته. كل شيء كان على ما يُرام، إلى أن رأيتُ، ودون أن أحترس، ما لا يجب عليّ أن أراه: وجهه بلا نظّارة. عندما كنتُ أقوم بتقبيل جفنيه، كنتُ أغمض عينيّ، ولكني فتحتُهما مساء أمس. بدا لي وجهه الألمنيومي ضخماً وكأنه صورة مكبّرة على الشاشة. ارتعشتُ، وشعرتُ بالشحوب. لحسن الحظ أنه سارع إلى وضع نظّارته، وكعادته، أراد أن ينظر إلى ذراعيّ وساقيّ، فأطفأت مصباح السرير دون أن أتكلّم. مدّ يده ليضغط على الزر وينير الغرفة من جديد ولكني أبعدت المصباح، فقال: «آه! أرجوكِ دعيني أرَ مرةً ثانية، أرجوكِ!» بحث عن المصباح تلمّساً، ولمّا لم يجده، رضخ.

مرّ زمنٌ، وجرت معاشرةٌ طويلة...

من ناحية، أنا أكره زوجي من كل قلبي؛ ومن ناحية أخرى، أنا متيَّمة. طبعانا لا يتّفقان، ومع ذلك، لا يمكنني أن أحبّ رجلاً آخر. وهذا مبدأ قديم من الشرف متجذّر بداخلي منذ ولادتي، ولا أستطيع مخالفته. مداعباته الملحاحة وغير العادية تضايقني إلى أقصى الحدود، ولكن من الواضح أنه يحبّني حتى الجنون، وأعتقد أن عليّ أن أدفع ثمن ذلك. آه! بما أني أتطرّق إلى هذا الموضوع، ليته ما يزال يحتفظ بقليلٍ من قوّته الماضية... تُرى لماذا نقصت قواه في هذا المجال؟ برأيه هو، إن شبقي المفرط هو الذي يسبّب ذلك ويجعله يفقد التحكّم بنفسه. في هذا المجال تتمتّع المرأة بمقاومة بلا حدود، أما الرجل فيستجير بعقله،

وهذا ما ينعكس على جسمه مباشرةً. إني أخجل من قول ذلك، ولكن إذا كنتُ ذات طبيعة شبقة، فلا أستطيع فعل شيءٍ، ويجب على زوجي أن يتكيّف بحيث يوصلني إلى النشوة. عليه أن يعرف أني لا أتحمّل هذه المزاحات التافهة، وأن ألعاباً كهذه تزعجني. أنا ما أزال أنتمي إلى المدرسة القديمة: أفضّل أن أنغلق في غرفة منعزلة ومظلمة، وجسدي تائه بين الوسائد السميكة، هادئة، دون أن يتمكّن أحدٌ من التمييز بين وجه زوجي ووجهي، بكل هدوء. إنها لكارثة كبرى أن يصل ذوقانا إلى هذا الحد من التباعد. ألا يوجد أحدٌ يستطيع أن يكتشف نقاط توافقٍ بيننا؟

13 كانون الثاني

وصل كيمورا حوالى الساعة الرابعة والنصف حاملاً بيضَ سمكٍ مجفّف أتاه من مدينته. تحدّثنا، نحن الثلاثة ما يقارب الساعة، ثم تأهّب للرحيل. نزلتُ واستبقيتُه على العشاء. لم يتركني كيمورا أرجوه، إذ جلس قائلاً: «أنتَ لطيف جداً». وفي أثناء تحضير العشاء، صعدتُ إلى الطابق الأول، وكانت توشي - كو في المطبخ تعدّ العشاء، وبقيت زوجتي لوحدها في الصالون. كان العشاء مرتجلاً: بيض السمك الذي جلبه كيمورا هو المقبّلات، ثم السوشي(*) بسمك الشبّوط المذهّب الذي كانت زوجتي قد اشترته أمس من سوق نيشيكي. قُدّم الكونياك مباشرةً. زوجتي لا تحبّ الأكلات المحلّاة وتفضّل عليها تلك التي تبعث على الشراب، وبخاصة السوشي بالشبّوط. أما أنا فأحب الاثنين، بالرغم من أني لا أحبّ كثيراً السوشي بالشبّوط. في

(*) السوشي هو أسطوانات صغيرة من الأرز ملفوفة غالباً ما تكون مغلّفة بالطحالب وتحوي قليلاً من السمك، وهو هنا من الفونا (سمك الشبّوط المذهّب).

البيت كله ليس هنا من يأكله إلا زوجتي. وبما أن كيمورا رجل من ناغازاكي، فإنه يحب بيض السمك المجفّف، واعتذر عن السوشي.

لم يأتِ كيمورا بأشياء ريفية خاصة أبداً، أما اليوم فلا بدّ أنه وطّن رأيه على أن يُدعى إلى العشاء. لا أفهم تماماً ما في قلبه. تُرى مَن تجتذبه؟ أهي أيكو ـ كو أم توشي ـ كو؟ لو كنتُ في مكانه وسُئلتُ مَن منهما تجتذبني أكثر لأجبتُ بكل تأكيد: الأم، على الرغم من سنّها. ولكن فيم يفكّر كيمورا؟ من يعلم؟ من المحتمل أنه يقصد توشي ـ كو. ولكن لا تبدو توشي ـ كو مهتمةً بالزواج منه. إذن، ألا يريد الآن أن يكسب ودّ الأم كي تؤثّر على ابنتها؟

ثم، لا. ما هي نواياي إذن؟ وماذا كان هدفي عندما استبقيتُ كيمورا هذا المساء؟ نفسيتي الخاصة غريبة، فمنذ عدة أيام، في مساء السابع من هذا الشهر، شعرتُ بغيرة خفيفة من كيمورا (وربما لم تكن خفيفة). على أية حال، لم يكن ذلك صحيحاً؛ فهي تعود إلى السنة الماضية. من ناحية، ألستُ غارقاً في متعة غيرتي؟ فعندما أشعر بالغيرة يحملني العشق أكثر. وهكذا بمعنى ما، تبدو الغيرة ضرورية لي، إنها تريحني. لقد استطعتُ أن أروي زوجتي مساءَ أمس، وذلك بفضل غيرتي من كيمورا، وتوصّلتُ إلى الاعتراف بأن وجود هذا الشخص محرّض أساس من أجل استمرارية الحياة الجنسية في بيتنا. ولكن ما يجب أن أنبّه زوجتي إليه (هل ثمة ضرورة لقول ذلك؟) هو أن ذلك يجب أن يبقى في حدود العلاج المحرّض. يمكن لزوجتي أن تذهب إلى النقطة الحرجة، وكلما كانت تلك النقطة حرجة كلما كان أفضل. أريد أن أصبح غيوراً حتى الجنون، بل يمكنها أن تصل إلى النقطة التي يمكنني أن أشكّ عندها بأنها تجاوزت حدودها. بل

أرغب في أن تذهب إلى أبعد من ذلك. أنا أقول هذا، رغم أني أعرف أنها لن تمتلك هذه الجرأة، ولكني أريد أن تعلم أنها، إذا ما حرّضتني بهذا الشكل، فسيكون ذلك في صالحها.

17 كانون الثاني

لم يعد كيمورا، ولكن منذ تلك الزيارة، صرتُ، أنا وزوجتي نشرب الكونياك كل مساء. وعندما أقدّمه لها تتحمّله كثيراً. أنا أستمتع برؤيتها وهي تخفي سُكرها تحت وجهها البارد والشاحب. لا أستطيع أن أقول إلى أية درجة يعجبني ذلك. كنتُ سأضعها في السرير وهي سكرانة تماماً، ولكن مهما فعلتُ ذلك فهي غير مستعدّة له. كلما شربتْ، كلما اتّقد ذهنها. لا تدعني ألمس ساقيها، بل تطالب بحقّها فقط.

20 كانون الثاني

لازَمَني الصداع طوال النهار، وقد أكون مبالِغة إذا قلتُ إنه «ألم وصل إلى شعري». ومع ذلك يبدو لي أني أفرطت قليلاً في الشراب مساء أمس. وكيمورا يشعر بالقلق عندما يراني أزيد جرعة الكونياك. وفي الآونة الأخيرة، لم يعد يسكب لي أكثر من كأسين، ويقول لي: «أعتقد أن هذا يكفي» ثم يكفّ. وبالمقابل فإن زوجي يدفعني إلى الشرب أكثر من ذي قبل. وهو يعرف أني معتادة على عدم رفض ما يُقدّم إليّ، ويبدو أنه يريد أن أشرب كمية كبيرة من الكحول. عظيم، ولكن ثمة حدود في هذا المجال. لم أُسئ التصرّف قطّ في حضور زوجي وكيمورا، ولكن الشراب من باب الخضوع، ثم إخفاء السُّكْر فيما بعد يسبّب آلاماً، وأفعل خيراً إذا ما ازددتُ حذراً.

28 كانون الثاني

هذا المساء، كادت زوجتي أن تفقد وعيَها. فقد أتى كيمورا وكنا نحن الأربعة على الطاولة عندما نهضت زوجتي وذهبت. ولمّا تأخّرت في العودة قال كيمورا: «تُرى ماذا حدث معها؟» عندما تُفرط زوجتي في شرب الكونياك، تنهض أحياناً عن الطاولة وتنفرد في غرفتها. قلتُ: «ستعود حالاً» ولكن عندما طال غيابها قلق كيمورا وذهب للبحث عنها. وبعد قليل نادى توشي ـ كو من الممر قائلاً: «تعالي يا آنستي، ثمة أمر غريب!».

وفي هذا المساء أيضاً، غابت توشي ـ كو في الوقت المناسب، فبعد أن انتهى العشاء انسحبت إلى غرفتها. قال كيمورا: «أمر غير عادي، فأنا لا أجد أمك في أي مكان». بحثت توشي ـ كو عن أمها فوجدتها في الحمّام، نصف غائصة في المغطس، وذراعاها ممتدّتان على حافّته، ورأسها مطأطئ، وهي نائمة. نادتها توشي ـ كو: «أماه! ليس هذا مكاناً للنوم!» ولكنها لم تُجب. أتى كيمورا ليقول لي لاهثاً: «الأمر خطير ياسيدي الأستاذ!» ذهبتُ إلى الحمّام وجسستُ نبض زوجتي فكان ضعيفاً جداً لا يتجاوز 40 في الدقيقة. خلعتُ ملابسي، ونزلتُ إلى المغطس وحملتُ زوجتي بين ذراعيّ ومدّدتُها على أرض الحمام. غطّت توشي ـ كو جسمَ أمها بمنشفة كبيرة ثم قالت: «على أي حال، سوف أجهّز لها سريرها». ثم ذهبت إلى غرفة النوم. لم يكن كيمورا يعرف ماذا يفعل، فكان يدخل إلى الحمام ثم يخرج منه متردداً. قلتُ له: «ساعدني إذا سمحت». عند ذلك، هدأ روعه ودخل بهيئة طبيعية فأضفت: «إذا لم نجفّف جسمها فسوف تمرض، عذراً، ساعدني!» ثم أمسكنا بالمنشفة الجافة وأخذنا نجفّف جسمها المبلّل.

حتى في هذه الظروف لم أنسَ أن «أستخدم» كيمورا. عهدت

إليه الجزء الأعلى من جسمها تاركاً لنفسي الجزء الأسفل. جفّفت بعناية ما بين أصابع قدميها وقلتُ لكيمورا: «جفّف أيضاً ما بين أصابع يديها!» وفي أثناء ذلك لم أفارق بنظري حركاته ولا تعبيراته. أحضرت توشي ـ كو ثوباً للنوم، ولكن عندما رأت أن كيمورا كان يساعدني انسحبت سريعاً وهي تقول: «سوف أضع دفّاءة الماء الساخن في سريرها». ألبستُ وكيمورا أيكو ـ كو ثوبَها وحملناها إلى غرفة نومها.

قال كيمورا: «ربما كان ذلك بسبب نقص التروية الدماغي؛ ومن الأفضل ألا نضع لها دفّاءة». تساءلنا نحن الثلاثة لبضع لحظات إن كان من المستحسن أن نستدعي الطبيب. فكرتُ أن بالإمكان أن نأتي بالدكتور كوداما، ولكني كنتُ منزعجاً من أن تظهر زوجتي وهي في هذه الحال. ومع ذلك، لمّا بدا قلبها يضعف استدعيتُه أخيراً. وقال: «يبدو أنه نقص تروية دماغي بالفعل. لا تجزعوا!» ثم أعطاها حقنة كافور. وكانت الساعة الثانية صباحاً عندما انسحب.

29 كانون الثاني

أفرطتُ في الشراب مساء أمس، فشعرتُ بتوعّك. أذكر أني ذهبت إلى المرحاض، ثم أذكر بغموض أني انتقلتُ إلى الحمّام وأني سقطتُ هناك. ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك. وعندما استيقظتُ هذا الصباح تساءلتُ عمّن نقلني ووضعني في سريري. بقي رأسي ثقيلاً طوال النهار، ولم أكن أرغب في النهوض. ما إن كنتُ أستيقظ حتى أغوص من جديد في حلم وبقيتُ غافيةً طوال النهار. لم أشعر بتحسّن إلا حوالى المساء، وها أنا أكتب ذلك في مذكراتي بصعوبة، والآن سأعود إلى النوم.

يبدو أن زوجتي لم تستيقظ منذ حادثة الأمس. وحين نقلتُها مع كيمورا من الحمّام إلى غرفة النوم كانت الساعة تقارب الثانية عشرة. واستدعيتُ الدكتور كوداما نحو الساعة الثانية عشرة والنصف، ثم ذهب عند الساعة الثانية صباحاً. عندما شيّعتُه كانت السماء مليئةً بالنجوم وكان البرد قارساً. قبل أن آوي إلى فراشي، وضعتُ حفنة من الفحم في مدفأة الغرفة، فهذا يكفي بصورة عامة لجعلها دافئة، لكن كيمورا قال لي: «أعتقد أن من الأفضل اليوم أن تدفّئها جيّداً». فطلبتُ منه أن يضع كثيراً من الفحم. قال أخيراً: «حسنٌ، آمل أن يسير كل شيء على ما يرام. اسمح لي الآن بالانصراف». لم يكن من المستحسن أن أدَعه ينصرف في مثل هذه الساعة، فقلتُ له: «يمكن أن نصنع لكَ سريراً في الصالون، فابقَ!» لكنه أجاب: «لا عليك، أنا أسكن قريباً من هنا، والمسافة قصيرة!» منذ أن ساعدني على نقل إيكو ـ كو وهو هنا، ذراعاه متدلّيتان (لم يكن يوجد أي كرسي لكي يجلس، فبقي واقفاً بين سريري وسرير زوجتي). خرجت توشي ـ كو من الغرفة مبيّنةً بذلك أن كيمورا لم يكن في مكانه في الغرفة، ولم تعُد. أصرّ كيمورا على الذهاب مكرّراً: «أؤكّد لك أن هذا ليس بالأمر المهم» وذهب. في قرارة نفسي، كنتُ أتمنّى أن يذهب، فقد خطر لي مخطّط، وبالفعل كنتُ أتمنّى ذهابه. وبعد أن ذهب كيمورا، لم يعد يُخشى أن تعود توشي ـ كو. دنوت من سرير زوجتي وجسستُ نبضها. لا بدّ أن الحقنة فعلت فعلها لأن النبض صار عادياً. وبَدَت زوجتي غارقةً في نوم عميق. تساءلتُ وأنا أفكّر بطبيعتها إن كانت حقاً نائمة أم أنها كانت تتظاهر بالنوم؛ كان ذلك مثار شكي. ولكن حتى لو كان ذلك مجرّد تظاهر، فقد كان سيّان عندي. بدأتُ أنعش نار المدفأة حتى أخذت تشخر. ثم

نزعتُ بهدوء القماش الأسود الذي كان يغطي كمّة المصباح فأنرتُ الغرفة. أدنيتُ المصباح من سرير زوجتي بهدوء، ووضعته بحيث يسطع مخروط النور على جسمها. سرعان ما أحسستُ أن قلبي ينبض بقوة: «هذا المساء، سوف أتمكّن من تحقيق الحلم الذي يراودني منذ زمن طويل». أسلمتني هذه الفكرة إلى اضطراب عظيم. خرجتُ من الغرفة بخطى متردّدة، صعدتُ إلى الطابق الأول، ودخلتُ إلى مكتبي. نزعتُ أنبوب طاولتي المشع، حملتُه ونزلتُ ثانيةً إلى غرفة النوم. وصلته مع مصباح السرير. منذ زمن طويل وأنا أُنضِج هذه الخطة. في الخريف الماضي استبدلتُ مصباح طاولتي بأنبوبٍ فلوري، وذلك لأني فكّرت أنه بين يوم وآخر ستسنح لي الفرصة بأن أستخدمه. عندما وضعتُه احتجّت زوجتي وتوشي ـ كو قائلتين بأن هذا سيُحدث تشويشاً على المذياع، ولكني تذرّعتُ بأن بصري قد شحّ وأنه صار يزعجني في القراءة، ثم أجريتُ التعديلات الضرورية لتركيب المصباح المشعّ. كان السبب الذي أوردتُه صحيحاً، ومع ذلك كنتُ أتحرّق لعرض جسد زوجتي على نور هذا المصباح الفلوري ذات يوم. منذ أن سمعتُ بقصة المصابيح الفلورية وهذه الفكرة تراودني.

جرى كل شيء كما خطّطتُ. نزعتُ عن جسد زوجتي كلَّ ما أُلبِستْه، مدّدتُها على ظهرها، في عري كامل، تحت نور المصباح. أخذتُ أدرس تفصيلات جسدها كما لو أني كنتُ أدرس خارطة. اعتراني الذهول وأنا أجد نفسي أمام هذا الجسد الرائع الطاهر. فهذه أول مرةٍ أرى فيها جسد زوجتي بهذه الطريقة. ثمة أزواجٌ يعرفون أشكال أجساد زوجاتهم بأدقّ تفصيلاتها، وربما عرفوا عددَ ثنايا أخمص أقدامهن. ولكن زوجتي لم تشأ قطّ أن تريني جسدها. بالطبع في حالات النشوة

العظمى، كنتُ أتمكّن من رؤية أجزاء محدودة منه، ولكن في الجزء الأعلى فقط، لأنها كانت تمتنع تماماً عن إظهار ما هو غير ضروري. كنتُ أتلمّس جسدها فأدرك أنها تمتلك جسداً رائعاً. لهذا السبب كنتُ أتطلّع إلى رؤية جسدها على نور المصباح المشع. لم يخِب أملي، بل تُوّج أيما تتويج. إنها المرة الأولى منذ زواجنا أتمكّن فيها من رؤية جسد زوجتي وهو كامل العري. وبصورة خاصة، تسنّى لي أن أرى الجزء الأسفل منه بكل دقائقه. ولدَتْ عام 1913، وليس لها مقاييس فتيات هذه الأيام اللاتي يقلّدن الأوروبيات. وكانت في شبابها بطلة سباحة وبطلة تنس، وبالنسبة لبنات جيلها فقد كانت تمتلك جسماً متناسقاً لكن صدرها لم يكن ممتلئاً، ولم يكن نهداها وساقاها ناميين كل النمو. ساقاها ناعمتان وطويلتان ولكن الجزء الأسفل من فخذيها مقوَّس قليلاً إلى الخارج ليشكّل حرف «O». يزعجني أن أقول ذلك، ولكنهما ليستا مستقيمتين. وبصورة خاصة، كعباها ليسا نحيلين، ولكني لا أحبّ الساقين المستقيمتين تماماً مثل الأوروبيات. إني ما أزال أقدّر الساقين المقوّستين على نمط نساء اليابان القديمة، كساقي أمي أو خالتي على سبيل المثال. أما الساقان المستقيمتان كالعصي عديمة الجمال فإنها لا تعني لي شيئاً. وأفضّل على الصدور العارمة والمؤخرات المنتفخة الصدورَ والمؤخرات التي بالكاد تكون بارزة مثل إلهة معبد شوغوجي(*).

كانت أبعاد جسم زوجتي كما تصوّرتُها تقريباً. ولكن ما يتجاوز كل ما تصوّرته هو نقاء بشرتها. لمعظم الناس في الأماكن المغطّاة من أجسامهم حبة صغيرة أو بقعة بنية أو

(*) المقصود هنا هو تمثال من الخشب يعود إلى القرن السابع يمثّل إلهة معبودة في الدير المجاور لهوريوجي (منطقة جنوب نارا)، وهو تمثال شهير.

سوداء، أما على جسد زوجتي، ومهما حاولتُ أن أبحث بدقة قصوى، فلم أجد شيئاً من هذا. قلبتُها على بطنها، وتفحّصتُها حتى مؤخرتها. فألفيتُ جسدَها كلّه ذا بياض يفوق الخيال. تُرى كيف بقي جسدها بهذا النقاء حتى سن الخامسة والأربعين، وبعد أن أنجبت فتاة؟ وخلال سنوات زواجنا تمكّنتُ من لمسها بيدي في الظلام، ولكن من دواعي سعادتي أني لم أرَ بعينيّ هذا الجسد الرائع. إن الزوج الذي تسنّى له أن يعرف جمال جسد زوجته بعد عشرين سنة من الحياة المشتركه، فهو كما لو أنه عَقَد قرانه في زواج جديد. لقد ولّى عهد الشبع الزوجي بالنسبة إليّ؛ وأنا أستطيع أن أحب زوجتي حباً مستفيضاً بشغفٍ مضاعف عن حبي السابق.

وضعتُ زوجتي على ظهرها، والتهمتها بنظري للحظة. ولم أستطع إلا أن أطلق زفرات الأسف. تساءلتُ فجأةً إن كانت زوجتي نائمةً حقاً أم إنها تتظاهر بالنوم. في البداية، يبدو عليها تماماً أنها نائمة، ولكنها كانت مستيقظة لبعض اللحظات. ومع ذلك، لأنها كانت مرعوبة، وعاجزةً عن أي تعبير، فقد خجلت وتظاهرت بالنوم. على الأقل، هذا ما أظنّه. ربما كنتُ مخطئاً؛ وما هذا إلا وهم، وهذا الوهم أنا أرزح تحته شئت أم أبيت. شعرتُ بفرحٍ غامر إذ فكّرتُ أن جسد المرأة هذا الذي تغطّيه بشرة بيضاء بضّة كان متأهّباً لكل أنواع الحركات التي يطيب لي أن أمارسها عليه كما لو أنه جسمٌ ميت، وأنه مع ذلك جسم نابض بالحياة وبالوعي.

إذا كانت زوجتي نائمة حقاً، أليس من الأفضل لي ألا أذكر في مذكراتي الألعاب السيئة التي انسقتُ إليها؟ وإذا قرأت هذه الأشياء، فربما كفّت عن الشرب؟ ولكن لا، فهي لن تكفّ أبداً. وإذا

كفّت فسيكون ذلك دليلاً على أنها قرأتها خلسةً. وإذا لم تقرأها فلن تعرف ما فعلتُه بها أثناء فقدانها لوعيها.

بعد الساعة الثالثة صباحاً، وطوال ساعة، لم تفارق عيناي جسد زوجتي. كانت متعتي بلا حدود. بالطبع، لم أبقَ منغمساً في تأمّل أخرس، بل كنتُ أودّ أن أعرف إن كان نومها تظاهراً، وكم من الوقت ستتابع اللعبة. وكذلك أردتُ أن أحرجها بوضعها في موقف لا تستطيع معه إلا أن تبدو نائمة. لقد عمدتُ إلى القيام بكل الألعاب التي تمقتها عادةً، وهي بحسب أقوالها، سيئة ومخجلة ومثيرة للاشمئزاز، في كل الأماكن دوراً بعد دور، لأن الفرصة سنحت لذلك. لأول مرة استطعتُ أن أحقّق الرغبة التي راودتني بأن ألحس أصابع قدميها. ثم قمتُ بـ «الأشياء كلها»، بحسب مصطلحات زوجتي، التي أخجل حقاً من كتابتها. وللحظة، ولكي أرى ردّة فعلها، قمتُ بتقبيل فرجها، ولكن بسبب قلة انتباهي، سقطت نظارتي على بطنها. في تلك اللحظة، انتفضت، وبدت وكأنها استيقظت وغمزت بعينيها. أنا أيضاً خفت، وأطفأتُ المصباح الفلوري، وغرقت الغرفة في الظلام للحظات. عند ذلك أعطيتُها قرصاً من اللومينال ونصف قرص من الكاردونوكس المحلول في الماء الفاتر الذي أحضّرته من ماء الإبريق الموضوع على المدفأة، وأضفتُ إليه الماء البارد. لقّمتُها ذلك بفمها وشربَتْه بهيئة نصف نائمة. (إن جرعات صغيرة كهذه قد تؤثّر أو لا تؤثّر. بالتأكيد لم أسقِها ذلك لكي أنوّمها، بل لكي أعطيها ذريعةً شريفة بأن تتظاهر بالنوم).

وعندما تأكّدتُ من أنها نائمة نوماً عميقاً (أو أنها كانت تتظاهر بنوم عميق)، تأهّبتُ لتحقيق الغاية من خطّتي. فبعد هذا الإعداد المناسب الذي لم تُحبطه زوجتي كعادتها، تأجّجت رغبتي وبلغت ذروتها، وبفضل هذه الإثارة، استطعتُ أن أنفّذ قصدي

بنجاحٍ أدهشني. لم أعد ذلك الخجولَ الذي كنتُه فيما مضى، وبقوةٍ مناسبة استطعتُ أن أسيطر على شبق زوجتي. فكّرتُ أن من الأفضل لي من الآن فصاعداً أن أُسكرها حتى النهاية، وتكراراً. لم تخرج من نومها تماماً على الرغم من أني لم أبقَ في محاولتي الأولى. كانت في حالٍ بين النوم واليقظة. وبين وقتٍ وآخر كانت تحرّك جفنيها، ولكنّ عينيها بقيتا غائمتين. وراحت يداها تتحرّكان ببطء، وكأنها مسرنمة. أخذت تتلمّس صدري وذراعيّ وخدّيَّ ورقبتي وساقيّ، وهذا لم تكن لتفعله عادةً. حتى الآن لم تكن تنظر ولم تكن تلمس من جسمي إلا ما كان ضرورياً. في تلك اللحظة فرّت كلمة «كيمورا!» من فمها كما في الحلم. لم تلفظ هذا الاسم سوى مرة واحدة، وللحقيقة فقد لفظته لفظاً مُغمغَماً، ولكنها لفظته بالفعل. حتى الآن ما أزال أتساءل إن كانت تهذي حقاً أم إنها كانت تتظاهر بالهذيان. ثم أعطيتُ كل أنواع التأويلات لهمستها تلك: وهي في هذه الحال من الذهول، ألم تكن تحلم بأنها بين ذراعي كيمورا؟ أو لئلا أذهب بعيداً، ألم تكن تريد أن تفهمني: «آه، لو كان ذلك مع كيمورا!» أو أيضا: «إذا ما أسكرتَني وقمتَ بهذه الألعاب السيئة كهذه الليلة، فسوف أحلم دائماً بأني أنام مع كيمورا، إذن، كفَّ عن ألعابكَ الإباحية!».

عند الساعة الثامنة مساء، أتى اتصال كيمورا الهاتفي: «كيف حال... كنتُ أودّ أن أعرف أخبار، ولكن...» فأجبت: «أعطيتُها منوّماً، وهي ما تزال نائمة. يبدو أنها بخير فلا تقلق».

30 كانون الثاني

ما أزال في السرير، والساعة الآن التاسعة والنصف صباحاً، ونحن في يوم الاثنين. اضطرّ زوجي للذهاب منذ نصف ساعة. وقبل أن يذهب دخل إلى غرفتي بهدوء فتظاهرتُ بالنوم.

راقب تنفّسي بعضَ الوقت، قبّل قدميَّ ثم ذهب. دخلت خادمتنا العجوز وسألتني: «كيف تجدين نفسك». أشرت إليها أن تُحضر لي منشفة ساخنة معصورة، ثم ذهبتُ إلى الحمام لكي أغسل وجهي. طلبتُ بعض الحليب وبيضةً نيئة. سألتُها: «أين توشي ـ كو؟» فأجابت: «إنها في غرفتها» ولكن توشي ـ كو لم تظهر. كنتُ أشعر بتحسّن كبير. كنتُ سأنهض جيداً، ولكن لم أكن راغبةً في ذلك. بقيتُ مستلقية. تناولتُ مذكّراتي واستعدتُ بهدوء الأحداث التي جرت منذ أول أمس. لماذا سكرتُ إلى ذلك الحد في ذلك المساء؟ ذلك يعود، على نحو معينّ، إلى حالتي الصحية وإلى ما لم يَكُنْهُ الكونياك العادي ذو الثلاث نجوم. كان زوجي قد اشترى زجاجةً جديدة ذاك اليوم، وبحسب اللصاقة كان نوعها كورفوازييه نابليون. وجدتُه يناسب ذوقي تماماً فأفرطتُ في الشرب. أكره أن أظهر وأنا سكرانة. شعرتُ بتوعّك لأني أفرطتُ في الشرب. ذهبتُ إلى غرفة الزينة وأغلقت الباب عليّ كالعادة. كم من الوقت بقيتُ هناك؟ ربما ساعة، أو ساعتين. لم أكن أتألّم، بل كنتُ بالأحرى في حالٍ من الغبطة. ولم أكن أشعر بما يجري من حولي إلا شعوراً ضعيفاً، ولكني لا أستطيع أن أقول إني نسيتُ كل شيء. ثمة لحظات أذكرها. ولمّا بقيتُ طويلاً مقرفصةً على الحوض، شعرتُ بخدرٍ في ساقيّ وعجزي. وفي لحظةٍ معيّنة أمسكتُ الواقية بيديّ وأخيراً وجدتُ رأسي على الأرض. لديّ ذكرى غائمة جداً عن هذا. ولمّا كان لدي انطباع بأن جسمي كله كانت له رائحة المكان، خرجت. هل كان خروجي للتخلّص من تلك الرائحة؟ أم كان ذلك لأني لم أكن أشعر بصلابة ساقيّ؟ لم أكن أرغب في رؤية أحد، فدخلتُ إلى الحمّام ولا بدّ أني خلعتُ ملابسي. قلتُ: «لا بدّ» لأنه لم يبقَ لي إلا ذكرى حلم

بعيد، ولا أستطيع أن أتذكّر ما جرى بعد ذلك. (وجدتُ على ساعدي الأيمن لصقةً كما لو أني أُعطيتُ حقنة، فهل استدعوا الدكتور كوداما؟) حين استعدتُ وعيي وجدتُ نفسي في سريري والنور الخافت يضيء غرفتي. لا بدّ أن ذلك كان في الساعة السادسة من صباح أمس. لا أتذكّر بوضوح ما حدث بعد ذلك، ولم يعد لديّ تصوّر للأمور. كان رأسي يؤلمني وكأنه سينفجر. ونما لديّ انطباعٌ بأن جسمي غارق في هاوية سحيقة، ومع ذلك كنتُ أصحو وأغفو طوراً بعد طور. أو بالأحرى لا، لم أكن أستيقظ ولا أصحو تماماً، بل كنتُ في حالةٍ وسيطة بين الصحو والنوم دامت طوال النهار. وكان رأسي يطنّ، وكنتُ أدخل على التوالي في عالم غريب يُنسيني آلامي، ثم أخرج منه. لم يكن ذلك إلا حلماً، ولكن هل يحلم الإنسان أحلاماً بهذا الوضوح كلّه وبهذه المحاكاة للواقع؟ وأخيراً انتابني ألم مبرّح ثم لذة بلغت ذروتَها. استغربتُ أن يُشعرني زوجي بشعور من القوة النادرة لديه، عندما فهمتُ سريعاً أن الرجل الذي كان فوقي لم يكن زوجي، بل كيمورا. ألم يُمضِ ليلته هنا للعناية بي؟ تُرى أين ذهب زوجي؟ هل كان من المستحبّ بالنسبة إليّ أن أنجرّ إلى هذا الموقف غير اللائق؟ لم تكن اللذة التي شعرتُ بها تسمح لي بأن أفكّر طويلاً بهذه الأسئلة. حتى الآن، لم يُعطني زوجي هذه اللذة كلّها مرةً واحدة. نحن متزوّجان منذ عشرين سنة، وكل معاشراته كانت فاترة وناقصة، ولم تترك عندي إلا مذاقاً كريهاً. وإذا ما قارنتها بهذه المعاشرة فإنها لم تكن معاشرات حقيقية. إن كيمورا هو من علّمني تلك الحقيقة.

تلك كانت أفكاري، ولكني فهمتُ، من ناحية أخرى، أن ذلك كان جزءاً من حلم. الرجل الذي كان بين ذراعيّ يشبه كيمورا،

بيد أنه كان انطباعَ حلم. في الواقع، كان ذلك الشخص زوجي، ولكني كنتُ أظن أن كيمورا هو مَن كان فوقي. ربما زوجي هو الذي نقلني من الحمّام إلى غرفتي ووضعني في السرير. وبما أنني فقدتُ وعيي، فقد استفاد من ذلك وتسلّى بجسمي. ولمّا كان يقبّلني بضراوة تحت إبطيَّ استعدتُ وعيي للحظةٍ قصيرة. وخلال قيامه بحركاته المحمومة سقطت نظّارته على ضلعي. في تلك اللحظة جعلني الإحساس بالبرودة على جلدي أفتح عينيّ، ولم يكن عليَّ أي ثوب، بل كنتُ ممددّةً على ظهري، معروضة لنور حامل المصباح وضمن دائرة المصباح الفلوري المائلة للزرقة. لا أعرف إن كان النور الساطع لهذا المصباح هو الذي أيقظني. ومع ذلك فقد بقيتُ جامدة. تناول زوجي نظارته التي سقطت على بطني ثم وضعها من جديد. كفّ عن تقبيلي تحت إبطيّ، ولكنه وضع فمه على أسفل بطني وقبلني. كردّة فعل تقلّص جسمي. أذكر أني بحثت تلمّساً عن الغطاء الصوفي. لاحظ زوجي أني كنتُ مستيقظة فوضع عليَّ الغطاء ولحاف الزغب، ثم أطفأ المصباح الفلوري وغطّى كمّةَ المصباح بكيس. لم يكن من سبب لإنارة غرفة النوم بمصباح فلوري، ولكن من المحتمل أن يكون زوجي قد جلب مصباح المكتب. أعتقد أنه تلذّذ بتفحّص أدق تفاصيل جسدي على ضوء هذا المصباح. إنني أشعر بالخجل لمجرّد التفكير بأنه تمكّن من التدقيق في أجزاء جسدي التي أنا نفسي لا أعرفها كل هذه المعرفة.

ومن المؤكّد أنه تركني عاريةً تماماً لمدة طويلة، وليس لديّ من دليل إلا أنه أجّج المدفأة إلى حد الاحمرار حتى غدت الغرفة كالفرن، وذلك لئلا أبرد، ولئلا أستيقظ. وعندما أفكّر الآن بأني كنتُ ألعوبةً بيد زوجي ينتابني الغضب والخجل في آنٍ معاً. ولكن

رأسي يؤلمني ألماً فظيعاً في هذه اللحظة. وحين سقاني زوجي ماء ذوَّب فيه قرصاً من الكاردونوكس أو اللومينال أو الإيزوميتال أو أي منوّم، لم أقاومه بل شربتُ لأنسى ألم رأسي. لم أتأخّر في فقدان وعيي وغصتُ في حالةٍ تميل أكثر إلى اليقظة منها إلى النوم. ثم أصابتني «هلوسة»... وكان ذلك انطباعاً يطفو الآن في عقلي، ضبابياً وممحوّاً. ومع ذلك، لم يكن ما رأيته بسيطاً. قلتُ: «هلوسة ظننتُ فيه أني أضم رجلاً بين ذراعيّ»؛ ولا يجدر بي أن أقول «كنتُ أظن»، بل «كنتُ متأكّدة»، لأن هذا الانطباع ظل عالقاً على جلد ذراعيّ وساقيّ. وكان ذلك الانطباع مختلفاً كل الاختلاف عن الانطباع الذي يتركه لديّ جلد زوجي. بهاتين اليدين تشبثتُ بذراعيّ كيمورا الفتيين، وصدره المرن هو الذي ضغط عليّ. بشرة كيمورا بيضاء أكثر مما يمكن تصوّره، وكأنها ليست بشرة رجل ياباني. ثم... آه! كما أنا خجلة! آمل ألا يعلم زوجي بوجود هذه المذكّرات، وألا يقرأها، ولهذا فأنا أجرؤ على كتابتها... آه، لو أن زوجي كان بتلك الـ... آه، لماذا هو قليل الـ...

أمر غريب حقاً، ولكن وأنا أقول لنفسي: إنها أضغاث أحلام، فقد كانت أحلاماً، هي واقعٌ من ناحية، ووهمٌ من ناحية أخرى. قد يُجرح شعور زوجي منها، ثمة شيء في عقلي الباطن يقول لي إن زوجي يشبه كيمورا. وما فاجأني هو الكمال في التنفيذ الذي رقي إلى درجةٍ لا أستطيع معها أن أفكّر أن زوجي فعل ذلك.

إذا كنتُ أستطيع أن أسكر بهذه الطريقة من الكورفوازييه وأن أستخلص منه كل هذه الأوهام، فأنا أتمنّى أن يُقدّم لي دائماً. يجب أن أشعر بالامتنان لزوجي لأنه منحني هذا السُّكْر. ومع ذلك، ما أزال أتساءل إن كانت هذه الرؤية التي رأيتُها

ليست، في الواقع، كيمورا نفسه. أنا لا أعرف إلا كيمورا لابساً ثيابه، ولم أره عارياً مرةً واحدة، فكيف لهذا الوهم أن يتسلّل إليّ؟ إن الكيمورا الذي تخيّلتُه في الحلم ليس كيمورا الواقع. أريد أن أراه عارياً مرةً، ولكن ليس في الحلم...

30 كانون الثاني

بعد الظهر بقليل اتصل بي كيمورا هاتفياً إلى الجامعة سائلاً: «كيف حال المريضة؟» «كانت ما تزال نائمة حين غادرتُ البيت صباحاً، ولكن يبدو أن حالتها ليست خطرة. تعال وتناول شيئاً ما في المساء». «أوه، لا بد من ذلك، فقد خفتُ كثيراً مساء أول أمس. أرجوكَ يا أستاذ أن تبقى حذراً. على أية حال سوف أسأل عن أخبارها». عند الساعة الرابعة أتى. كانت زوجتي قد استيقظت وجلست في الصالون. قال كيمورا: «لن أبقى إلا لحظة». استبقيته بالقوة قائلاً: «بل ستبقى! وسوف نشرب قليلاً هذا المساء». كانت زوجتي قريبةً مني تصغي إلى حوارنا وتبتسم ابتسامةً ساخرة، ولم تصدر عنها أية حركة استنكار. وعلى الرغم من قوله إنه سيذهب فهو لم ينهض. من أين له أن يعرف بما حدث ليلة أول أمس، بعد أن ذهب. (تلك الليلة، أعدتُ إلى مكتبي المصباح الفلوري قبل أن يطلع النهار). وبحسب كل احتمال، فقد كان يجهل أيضاً أنه ظهر لإيكو ـ كو، في حلم هلوسي كانت فيه مفتونة به. ومع ذلك، هل كان لدي الانطباع بأنه أتى مبيّتاً النية بأن يُسكر إيكو ـ كو؟ هل يعرف رغبة إيكو ـ كو؟ إذا كان الأمر كذلك: فما هذا إلا بوساطة التخاطر عن بعد، أم هل يكون بإيحاء من زوجتي؟ لم تظهر توشي ـ كو إلا لحظة. كشّرت ثم نهضت بسرعة عندما رأتنا نحن الثلاثة نضع الشراب وذهبت.

هذا المساء أيضاً، نهضت زوجتي أثناء حديثنا وذهبت لتنفرد في غرفة زينتها. ثم انتقلت إلى الحمّام (نحن لا نستحمّ إلا كل يومين، أما اليوم فقد قالت زوجتي للخادمة العجوز أن تجهّز الحمام يومياً لبعض الوقت. ولمّا كانت العجوز تسكن بعيداً، كانت تُجري الماء البارد مساء قبل أن تذهب، ثم يقوم أحدنا بإشعال الغاز. وهذا المساء، إيكو - كو هي من قامت بذلك). سقطت في الحمّام، وكل ما جرى أول أمس تكرّر. وأتى الدكتور كوداما وأعطاها حقنة كافور. كانت توشي - كو قد ذهبت، فقدّم كيمورا المساعدة اللازمة ثم ذهب كالمرة السابقة. وبعد ذلك تصرّفتُ بالطريقة نفسها تماماً. وما كان غريباً أن زوجتي لفظت الكلمات الغائمة نفسها وخرج اسم «كيمورا» من بين شفتيها. هل كانت فريسة للحلم نفسه؟ وللهلوسة نفسها؟ وللظروف نفسها؟ أم يجب عليّ أن أستنتج أنها تسخر مني؟

9 شباط

اليوم طلبت مني توشي - كو الإذن بمغادرة المنزل. وأعطتني السبب: إنها ترغب في أن تدرس بهدوء، وبما أنها وجدت بيتاً يناسبها، فقد قرّرت بسرعة. كان ذلك عند سيدة فرنسية عجوز كانت تتبع على يديها دروس اللغة الفرنسية في جامعة دوشيشا. واصلت توشي - كو تعلّم دروس اللغة الفرنسية معها. زوج هذه السيدة ياباني، وهو مشلول، طريح الفراش. والسيدة تؤمّن بمفردها مصاريف البيت عن طريق الدروس التي تعطيها في جامعة دوشيشا، والدروس الخاصة. ومنذ أن مرض زوجها وتوشي - كو هي الوحيدة التي تأخذ دروساً عندها. وهي تعطي دروسها الخاصة الأخرى في المدينة. ليس في البيت إلا الأثاث، وهو ليس كبيراً، ولكن بما أنها غرفة من ثمانية

حصائر[*]، وهي مستقلة عن البيت، وكانت تستخدم كمكتب للزوج، وصارت الآن زائدة، فقد أرادت السيدة أن تؤجرها لكي تبقى مرتاحة البال من ناحية زوجها عندما تغيب عن البيت. هناك هاتف، وكذلك سخّان حمام يعمل على الغاز. وقد سُعدت المرأة بتأجيرها لتوشي ـ كو، وهي التي حدّثتها عنها من تلقاء نفسها. إذا أرادت توشي ـ كو أن تجلب البيانو معها، فستقوم السيدة بتبليط أرض الغرفة المستقلة، وكذلك يمكن تغيير الهاتف؛ وبما أنه لن يكون من المريح أن تعبر غرفة المريض لكي تصل إلى غرفة الزينة أو إلى الحمّام، فستقيم ممراً مباشراً. كل ذلك سيكون سهلاً ولن يكلّف كثيراً. عندما تكون السيدة غائبة، من النادر أن يُطلب المريض إلى الهاتف. وإن حدث ذلك ما على توشي ـ كو إلا أن تتجاهله بحيث لا تكون منزعجة. كانت تلك هي الشروط؛ ولن يُرفع الإيجار، وكانت السيدة تتمنى أن تقبل توشي ـ كو بسرعة.

في الآونة الأخيرة صار كيمورا يأتي كل ثلاثة أيام تقريباً فنقوم بشرب الكونياك. لقد أفرغنا حتى الآن زجاجتي كورفوازييه. لا بد أن توشي ـ كو قد اشمأزّت مني لأني في كل مرة كنتُ أسقط في الحمّام. ولا بدّ أنها استغربت أن تُنار غرفة أبويها في منتصف الليل، وأن يُضاء المصباح الفلوري. تُرى هل هذا هو سببها الوحيد أم إنها تخفي أسباباً أخرى لتسكن لوحدها؟ لم تتكلّم في ذلك. أجبتُها: «اطلبي ذلك من أبيك مباشرةً إن لم يكن لديه اعتراض. وإذا كان الأمر كذلك، فأنا أيضاً ليس لدي».

(*) للغرف اليابانية كلها مساحة تنتج عن جمع حصائر مضمومة طولها 1.80م وعرضها 0.90م. فتكون الغرفة ذات الثمانية حصائر عبارة عن مربع طول ضلعه 3.60م.

14 شباط

روى لي كيمورا اليوم أمراً غريباً بينما كانت زوجتي في المطبخ. قال لي: «هل تعلم أن في أمريكا كاميرا فوتوغرافية تسمّى «بولارويد» تستطيع أن تعطي صوراً مظهّرة؟ وهكذا عندما تُنقل مباراة مصارعين على التلفزيون فإن المذيع يستطيع أن يشرح الحركات بفضل البولارويد. وتحريك هذه الكاميرا سهل جداً، ولا تختلف عن أي جهاز عادي، وكذلك هي سهلة الحمل. وزمن عرضها قصير، وهي ليست بحاجة إلى حامل. لم ينتشر هذا الجهاز كثيراً بعد، ولا يستخدمه الآن إلا الهواة. وحجم الصورة بحجم بطاقة الزيارة. والفيلم وورق السحب يشكلان لفّة ليس من السهل إيجادها في اليابان، بل يجب جلبها من أمريكا». ومع ذلك فإن كيمورا لديه صديق يمتلك هذه الكاميرا مع أفلام، وقال لي: «إذا كنتَ تريد تجربتها، أستطيع أن أستعيرها منه». خطرت لي فكرة سريعة، ولكن كيف عرف كيمورا أني مستمتع بسماعه وهو يتكلّم عن تلك الكاميرا؟ هذا لغز بالنسبة إليّ.

16 شباط

منذ قليل، حوالى الساعة الرابعة عصراً، حدث أمرٌ أقلقني بعض الشيء. عادةً أضع الدفتر الذي يحوي هذه المذكرات في درج الصوان الموجود في الصالون. (لا ينبغي لأحد أن يفتح هذا الدرج سواي). وأنا أخفيها تحت كدسة من الرسائل أرسلها أبي وأمي. ولكي أكتب هذه المذكرات فإني أترصّد الوقت الذي يكون فيه زوجي غائباً، ولكني كنتُ مستعجلة للكتابة عندما كانت الفكرة حاضرة في ذهني، ولم أنتظر حتى يخرج زوجي، وكتبتُ

بينما كان يغلق على نفسه الباب في مكتبه. وهذا المكتب موجود فوق الصالون تماماً. والأصوات لا تمر، ولكني أتصوّر تقريباً ما يفعله زوجي في كل لحظة: أعرف إن كان يقرأ، أو يكتب أو يتابع كتابة مذكراته أو حتى بكل بساطة إن كان يفكّر. من المحتمل أن يكون مطّلعاً على موضوعي. المكتب صامت، ولكنْ لدي انطباع أن زوجي يحبس أنفاسه أحياناً لكي يراقب ما يحدث في الأسفل، في الصالون. أتخيّل أن هناك لحظات يرين فيها صمتٌ خاص في الأعلى. أعتقد أن هذا يحدث عندما أُخرِج خلسةً مذكراتي وأمسك قلمي وأنا متنبّهة تماماً لأية نأمة تحدث في الطابق الأعلى. ولئلا أحدث أصواتاً، فأنا لا أستخدم الورق الغربي والريش، بل أستخدم ورقاً يابانياً رقيقاً جداً وناعماً جداً أربطه على شكل دفتر صغير، وقلماً أكتب به مذكراتي بأحرف دقيقة. ومنذ قليل تملّكتني لذة الكتابة، أهملت لعدة لحظات أن أتنبّه لما يحدث في الطابق الأعلى. في تلك اللحظة، نزل زوجي خلسةً إلى المرحاض، هل فعل ذلك قصداً، أم كان نزوله مصادفة؟ مرّ من أمام الصالون ثم صعد ثانيةً. قلت «خلسةً» لأن هذا هو الانطباع الذي لدي على الأقل. ربما لم يكن لزوجي أية نية أخرى للنزول إلى المرحاض. ولا يجدر به أن يخنق خطواته، بل كان عليه أن ينزل بخطى عادية؛ بالمصادفة تماماً لم أتنبّه إلى الصوت الذي كان يجب عليّ أن أسمعه. ومهما يكن من أمر، فإني لم أتنبّه لوجوده إلا بعد أن صار في أسفل الدرج. كنتُ أكتب مستندةً إلى طاولة صغيرة؛ خفتُ فخبّأت دفتر المذكرات والمحبرة تحت الطاولة (في هذه الحالة، لا استخدم محبرة حجرية، بل محبرة خفيفة من البامبو. وهي تذكار من أبي، وهي عبارة عن عمل فني قيّم من الخشب الصيني، ومن منشأ صيني). أنا متأكّدة من أن زوجي لم يلاحظ شيئاً، ومع ذلك، عندما أخفيتُ

الدفتر، كنتُ مرتبكة إلى درجة أني جعّدتُ أوراقه، وأخشى أن يكون قد سمع الحفيف الخاص للورق الياباني. وفي هذه الحال، عندما يسمعه مرةً أخرى، من المؤكّد أنه سيفكّر بهذا الورق الرقيق ويمكنه أن يتخيّل بسهولة لماذا أستخدمه. يجب أن أتنبّه من الآن فصاعداً. إذا علم زوجي بوجود هذا الدفتر، فماذا عليّ أن أفعل؟ وإذا ما اخترتُ مخبأً آخر في غرفة صغيرة جداً، فليس هناك أي سبب لئلا يجده. تبقى لي وسيلة واحدة: ألا وهي ألا أغادر البيت عندما يكون زوجي فيه. في هذه الآونة أشعر بثقل في رأسي يومياً بحيث أني لا أخرج غالباً كما اعتدتُ أن أفعل. وبصورة عامة، فإن توشي ـ كو أو الخادمة العجوز هما اللتان تتكفّلان بالتبضّع من نيشيكي.

بالضبط، دعانا كيمورا إلى حضور فيلم «الأحمر والأسود» الذي يُعرض حالياً في أساهي كايكان. أودّ تماماً أن أذهب لمشاهدته، ولكن عليّ أن أجد أولاً حلاً مناسباً...

18 شباط

مساء أمس، سمعتُ زوجتي تتلفّظ باسم كيمورا للمرة الرابعة. كنتُ أتكلّم حتى الآن عن كلمات غير منسجمة، ولكن ما من أي مجال للشك: هذه ليست كلمة تلفظها في الحلم. فما هي غايتها إذن؟ هل تقصد: «أنا لستُ نائمة بالفعل، بل أنا أتظاهر بالنوم»؟ أو: «لا أريد أن أصدّق أنكَ أنت شريكي، بل هو كيمورا الذي من دونه لم أعد أجد أية لذة في اللعبة. وأخيراً أنتَ تجد فيها حسابك!» أو أيضاً: «إنها وسيلة لإثارة غيرتك. على أية حال ما أنا إلا امرأة مخلصة لزوجي».

اليوم، غادرت توشي ـ كو البيت وانتقلت نهائياً إلى بيت

السيدة أوكادا. الأعمال انتهت تقريباً: الممر الذي يربط بين الغرفة المنفصلة والحمّام، وتبليط الأرض من أجل البيانو. لم يتم نقل الهاتف بعد؛ وفضلاً عن ذلك، بما أن اليوم «يوم شاكّو(*)»، أي يوم نحس، فقد نصحتها إيكو ـ كو أن تنتظر حتى يوم 21، الذي هو يوم «تاي ـ آن»، أي يوم سعد، ولكن توشي ـ كو لم تعبأ بذلك وذهبت. وحده نقل البيانو أُجّل يومين أو ثلاثة، أما بقية الأمتعة فقد نُقلت بمساعدة كيمورا.

(اليوم، وهو اليوم التالي لليلة عاصفة، بقيت إيكو ـ كو في السرير في الصباح كعادتها، وهي تغوص في سبات عميق. نهضت هذا المساء فقط للحظات قليلة، فهي إذن لم تساعد أبداً في نقل الأمتعة). عنوان توشي ـ كو هو تاناكا سيكيدن ـ شو: وهو يبعد خمس أو ست دقائق من هنا مشياً. كيمورا يستأجر غرفة قرب هياكومانبن في تاناكا ـ مون ـ مي ـ ماشي، فهو إذن أقرب منا إلى سيكيدن ـ شو.

عندما أتى كيمورا ليساعدنا، قال لي وهو يصعد الدرج قبل أن يدخل إلى مكتبي: «هل أستطيع أن أسمح لنفسي... لقد جلبتُ لكَ ما وعدتُكَ به». ثم ترك لي بولارويد قبل أن يذهب.

19 شباط

لا أستطيع أن أفهم حالة توشي ـ كو النفسية، فهناك لحظات تبدو فيها محبّةً لأمّها حتى العبادة، ولحظات أخرى تبدو فيها كارهةً لها. من المؤكّد أنها تكره أباها. إنها مخطئة فيما يخصّ

(*) اعتقاد فلكي متعلّق بمكان كوكب المشتري. وهو يعود إلى ماض سحيق ولكنه ما يزال يُراعى بصورة شائعة في أيامنا هذه. يجب عدم القيام بمشروع جديد في هذا اليوم، ولا حتى دفن ميت. وبعكس لك، فإن يوم تاي ـ آن مناسب، ويُختار عادةً لإقامة حفل الزواج.

علاقاتنا الحميمة؛ فهي ترى أن أباها لديه خصوصية أنه وُلد بطبع فاسد؛ أما أمها، فليس لديها ما يشبه ذلك. ويبدو أنها تعتقد بأن أمها ذات طباع رقيقة، وتتحمّل بصعوبة متطلّبات الحياة الزوجية التي يُجبرها أبوها على القيام بملذات تزعجها. (في الحقيقة، لقد تصرّفتُ بطريقة تجعلها تذهب إلى هذا الظن). فعندما أتت أمس لكي تأخذ أشياءها الأخيرة، دخلت إلى الغرفة لتستأذن واكتفت بالقول: «أمي، أبي سيقتلك!» ثم ذهبت. إنها صموتة بصورة مثيرة للاستغراب، مثلي. وتبدو كأنها تلومني لأنها تخشى سراً أن يتفاقم ضعفُ صدري. ولكن كلامها كان ينمّ عن سوء في التفكير، فخرج مليئاً بالمرارة والسخرية، ولم ينطلق من شعور رقيق بقلق فتاة نحو أمّها. أليست تعاني تجاهي من ناحية المظهر والجاذبية من مركّب نقص على الرغم من فارقٍ في السن يبلغ عشرين عاماً؟ منذ البداية قالت إنها لا تحب كيمورا، ولكنها تذرّعت بأن أمها كانت تحرف ميلها نحو جيمس ستيوارت إلى كيمورا لتكره هذا الأخير أكثر. في قرارة نفسها، أليست تعيش مشاعر معادية نحوي؟

اجتهدتُ في ألا أغادر البيت قدر استطاعتي، ولكن ظروفاً تحدث دائماً وتضطرّني إلى الخروج. وقد يحدث أيضاً أنه في ساعةٍ يُفترض في زوجي أن يعطي فيها دروساً، فإذا به يعود فجأةً إلى البيت، بحيث أني لا أعرف أبداً أيَّ إجراء يجب أن أتّخذه بشأن مذكّراتي. وإذا كان من العبث تخبئتها، فإني أريد على الأقل أن أجد وسيلةً لأعرف إن كان زوجي يقرؤها خلسةً أم لا في حال غيابي عن المنزل. وضعتُ علامةً في الدفتر، علامة تريني إن كان زوجي قد فتحه أم لا. وستكون علامةً لا يعرفها أحدٌ سواي. وسأتصرّف بحيث أنه لا يلاحظ شيئاً. ثم لا: بل بالعكس، أليس من الأفضل أن أضع علامةً يلاحظها؟ فإذا فهم

أن زوجته تعرف أنه يقرأ مذكراتها خلسةً، سيأخذ حذره (هل سيكون الأمر كذلك حقاً؟).

على أية حال، ليس من السهل أن أجد علامةً كهذه. قد تنجح مرةً، ولكن إذا كرّرتُها، يُخشى أن يكشف هذه الطريقة. على سبيل المثال، أستطيع أن أضع نكاشة أسنان في بعض صفحات الدفتر، وإذا ما فُتح الدفتر فستسقط، سينجح هذا مرةً، وبدءاً من المرة الثانية، سيرتّب زوجي نفسه بحيث لا يدع النكّاشات تسقط. وسيلاحظ في أية صفحة وُضِعتْ وسيعيدها إلى مكانها (فزوجي ذكي جداً في مثل هذه الأمور). وتَصَوُّرُ طريقة جديدة في كل مرةٍ ضربٌ من المستحيل. حاولتُ أن أضع طولاً محدّداً من شريط لاصق (وقست: طوله ثلاثة وخمسون ميلليمتراً)، واخترتُ مكاناً على غلاف الدفتر ثم ألصقت الشريط على الطرفين كليهما (على مسافة 82 مم من الأعلى و75 مم من الأسفل) ويجب في كل مرة أن أغيّر تغييراً طفيفاً طول الشريط ومكانه. إن نزْعَ الشريط ووضْعَ شريطٍ آخر بالطول نفسه تماماً وفي المكان نفسه ليس بالأمر المستحيل، نظرياً على الأقل، ولكنه أمر معقّد ومُضجر إلى درجة أن لا أحد يستطيع فعله. ثم، إذا نُزع الشريط فستبقى آثار على الغلاف، حتى لو بُذلت عنايةٌ قصوى في ذلك. لحسن الحظ أن الغلاف مصنوع من ورق ياباني قوي مغطى بطبقة بيضاء بحيث أنه إذا نُزع الشريط فسينزع معه، في الوقت نفسه، عدة ميلليمترات من هذه الطبقة. وهذا يعني أن من المستحيل على زوجي أن يقرأ مذكراتي دون أن يترك أثراً.

24 شباط

منذ أن ذهبت توشي ـ كو، لم يعد لكيمورا أي عذر في المجيء؛ ومع ذلك فإنه ظلّ يأتي كل يومين أو ثلاثة، كما في

الماضي. في الحقيقة، لقد استدعيتُه بالهاتف أيضاً. (وتوشي - كو أتت أيضاً، ولكن دون أن تمكث طويلاً). استخدمتُ البولارويد في المساءات، وصوّرتُ الجسم العاري تماماً، من الأمام ومن الظهر، وتفصيلات بعض الأجزاء، والأعضاء في الوضعيات كافة، الملتوية منها أو الممدّدة، ومن زوايا مختلفة. لأية غاية التقطتُ هذه الصور؟ في المقام الأول، لأني أشعر بلذة في التقاطها، إذ إن فرحي لغامِرٌ عندما أقلّب على هواي جسمَ زوجتي النائمة (أو التي تتظاهر بالنوم) لكي أجعله يأخذ الوضعيات المختلفة. وفي المقام الثاني، لكي ألصق هذه الصور في دفتر المذكرات، وبهذه الطريقة ستراها زوجتي حتماً.

وهكذا ستكتشف جماليات أجزاء جسدها التي لم تكن تعيرها انتباهاً حتى الآن، وستفاجَأ بها.

والغاية الثالثة: بهذه الطريقة، ستفهم زوجتي كم أتلذّذ في تأمّل جسدها العاري، وستوافقني الرأي، بل وستتأثّر أيضاً. (وحسَناً ستفعل في أن تفكّر في هذا العمل النادر: زوجي سيبلغ عمره هذه السنة ستةً وخمسين سنة، وهو مسحور إلى هذا الحد بجسد زوجته التي تبلغ الخامسة والأربعين!). وغايتي الرابعة في التصرّف على هذا النحو هي أن أخدش حياءها إلى أقصى درجة لكي أرى إلى أي حد يمكنها أن تتظاهر. عدسة الكاميرا ليست نقية جداً، وليس هناك من جهاز لقياس المسافة، فعلّي أن أتصرّف بالعين المجرّدة؛ ومع غرّ مثلي، تحدث عثرات بسهولة. منذ بعض الوقت، وُجدت أفلام خاصة للبولارويد، حسّاسة جداً، ولكن من الصعب جداً الحصول عليها في اليابان الآن. وبما أن الأفلام التي أتاني بها كيمورا قديمة وقد تجاوزت مُهل الكفالة، فلا يجدر بي أن أنتظر نتائج باهرة. ومن الصعب أحياناً، بل

ومن المضجر، أن أستخدم الفلاش. بهذا الجهاز لن أتمكّن من أن ألبّي إلا الهدفين الأول والرابع فقط من سلسلة أهدافي. وسأؤجل إلصاق الصور إلى وقت لاحق.

27 شباط

على الرغم من أن اليوم يوم أحد، فإن كيمورا أتى هذا الصباح عند الساعة التاسعة والنصف ليسألنا إن كنا سنذهب لمشاهدة فيلم «الأحمر والأسود». في هذه الفترة، يتأهّب الطلاب في الجامعة لتقديم امتحانات القبول، وكذلك فإن الأساتذة مشغولون بالأمر نفسه. وعلى العكس، ففي شهر آذار، سيكون لديه أوقات فراغ أكثر، أما في هذا الشهر فيجب عليه أن يبقى في الجامعة عدة أيام في الأسبوع من أجل إعطاء التدريبات. كذلك ثمة طلاب يأتون إلى كيمورا لكي يطلبوا منه تعليمات خاصة. وكيمورا رجل ذو تفكير سليم، ولديه حس خاص بالنسبة إلى التنظير، فالموضوعات التي يتوقّعها تأتي دائماً في الامتحانات. أعتقد أني أفهم دقة حكمه. أما فيما يخصّ معارفه، فلا أستطيع أن أقول شيئاً بالطبع، وأما بالنسبة إلى الحكم، فإن زوجي لا يصل إلى كعبه.

اليوم، الأحد، هو الوحيد الذي يكون لديه فيه بعض الوقت، ولكن في هذا اليوم يكون زوجي في البيت منذ الصباح وحتى المساء، الأمر الذي يجعل أي خروج لي صعباً. في الطريق تكلّم كيمورا مع توشي ـ كو. أتت هذه وطلبت مني أن أرافقهما. لم أكن راغبةً في الخروج معهما، ولكن لم يكن من المناسب تركهما يخرجان لوحدهما. أعتقد أني قرأتُ على وجهها: «سأضحّي من أجل أمي»: «سأرافقكما»؛ وقال كيمورا: «إذا لم نذهب منذ

الصباح الباكر فلن نجد أماكن يومَ الأحد». وأصرّ زوجي: «أنا سأبقى في البيت طوال النهار، وليست لديّ مشكلة في أن أبقى وحيداً، اذهبوا أنتم. ألم تقولوا أنكم ترغبون في مشاهدة «الأحمر والأسود؟» لقد فهمتُ سبب إصرار زوجي، ولكن بما أني فكرتُ بهذا الاحتمال، فقد ذهبنا نحن الثلاثة. دخلنا إلى السينما في الساعة العاشرة والنصف؛ وخرجنا منها في الساعة الواحدة والنصف. دعوتهما إلى الغداء، ولكن كلاً منهما عاد إلى بيته. وعلى الرغم من أن زوجي قال إنه سيبقى في البيت طوال النهار، فما كدتُ أعود حوالى الساعة الثالثة حتى خرج ليتنزّه ولم يعد إلا في المساء. ما إن خرج حتى أخرجتُ مذكراتي؛ وكان شريط السيلوفان يبدو ما يزال ملتصقاً في مكانه نفسه، وبدا الغلاف غير ممسوس. ومع ذلك، عندما أمعنتُ النظر بالمكبّر اكتشفتُ آثار خدوش في مكانين أو ثلاثة. وكنتُ قد قمتُ بإجراء احترازي مضاعف: كنتُ قد أدخلتُ نكّاشة الأسنان عند صفحة معينة؛ ولم تعد في مكانها. الآن لم يعد لدي من شك: زوجي يقرأ مذكراتي خلسةً. هل يجب عليّ أن أكملها؟ أم يجب أن أتوقّف؟ لاأريد أن أحكي أفكاري للآخرين، وإن كنتُ قد فتحتُ مذكراتي فلكي أحكيها لنفسي. وبما أنه بات من الواضح الآن أن أحدهم يقرؤني فسأتوقّف عن الكتابة؛ ومع ذلك فإن هذا «الأحدهم» هو زوجي؛ ولكن إذا ما تبادلنا التظاهر بأننا لا نعرف شيئاً، أعتقد أن هذا سيكون باعثاً كافياً للمتابعة.

وأخيراً، من الآن فصاعداً ستكون كتابة هذه المذكرات بالنسبة إليّ وسيلة لقول الأشياء لزوجي بطريقة غير مباشرة، الأشياء التي لا أستطيع أن أقولها له مباشرةً لأني أخجل منها. ومع ذلك، فليقرأ زوجي ما كُتب في هذه المذكرات، لا بأس، فأنا لا أستطيع فعل شيء، ولكني لا أريد أن يقول ذلك لي علناً. ولكن

ربما كان هذا الإنذار غير مفيد، لأن زوجي هو سيّد من يتظاهر بعدم قراءة شيء في حين أنه يكون قد قرأه بالفعل. ثم إن زوجي يمكنه أن يكون قد فعل كل ما يطيب له. أما أنا فإني أتمنّى أن يظن أني لم أقرأ مذكرّاته أبداً. فهو يعرف بصورة أفضل من أي شخصٍ آخر أني أنتمي إلى المدرسة القديمة وأني ترعرعتُ بطريقة لا أستطيع معها، ولو للحظة واحدة، أن أقرأ خلسةً مذكرات شخص آخر. أنا أعرف مكان مذكرات زوجي، وقد يحدث أن ألمسها أحياناً، ولن أخفي أني قد فتحتُها، ولكني لم أقرأ منها كلمةً واحدة. هذه هي الحقيقة.

27 شباط

هكذا فقد عرفتُ تماماً. إن زوجتي تكتب مذكّراتها. حتى الآن تعمّدتُ ألا أكتب ذلك في مذكراتي هذه، ولكن الحقّ أقول، منذ عدة أيام صحا انتباهي صحوةً غامضة حول هذا الموضوع. ففي ظهيرة أحد الأيام نزلت إلى المرحاض، وعندما مررتُ من أمام الصالون لاحظت عبر الشوجي(*) الداخلي أن زوجتي كانت متكئة إلى الطاولة في وضعية قلقة. في السابق، كنتُ قد سمعتُ حفيف أوراق يابانية رقيقة جداً. لم يكن الصوت الذي تحدثه ورقة أو ورقتان، بل سمعتُ صوت رزمة من الأوراق المربوطة اختُطفت لكي تخبّأ بسرعة تحت الوسادة. سرعان ما تساءلتُ مباشرةً فيما ستستخدم زوجتي هذه الأوراق التي لاتُحدث صوتاً تقريباً. حتى ذلك اليوم، لم تسنح لي الفرصة بأن أعرف. أما اليوم، بينما كانت في السينما، بحثتُ في الصالون ووجدتُها بسهولة. ولكن كانت مفاجأتي كبيرة حين

(*) الشوجيات هي ألواح لها زلاقات عملها كقواطع، وقد تكون مكونة من عصي خشبية، أو من الورق الشفاف أو أحياناً من الزجاج.

وجدتُ الدفتر مختوماً بشريط من السيلوفان توقّعاً لأن أعرف بوجوده. أي حماقة اقترفتها زوجتي! لقد أذهلني الشك الذي وصلت إليه. فأنا لستُ سيئاً إلى درجة أني أقرأ مذكراتها دون إذن منها. ومع ذلك، دفعني شعورٌ سيئ وحاولتُ أن أرى إن كنتُ أستطيع أن أنزع بمهارةٍ الشريطَ دون أن أترك أثراً. كنتُ أريد أن أقول لها: «الشريط غير مفيد، فأنا أستطيع أن أقرأ رغماً عنه هذه المذكرات خلسةً دون أن تشكّي في ذلك، لذا يجب أن تفكّري بوسيلة أخرى». وبدأتُ أفعل بعناية، ولكن كانت النتيجة الفشل. فقد فاجأتني الدقة التي نفّذت بها زوجتي مخطّطها. ورغم نيتي بأن أنتزع هذا الشريط بعناية فائقة، فقد تركتُ آثاراً على الغلاف. وفهمتُ أن من المستحيل نزعه دون أن تنتبه زوجتي للأمر. عرفتُ أنها قاست طول الشريط جيداً، وبعد أن انتهيتُ دون أن أنتبه لهذا التفصيل، لم يعد بإمكاني أن أقيسه، وألصقتُ شريطاً مقيساً بالعين المجرّدة، ومن المستحيل ألا تكون زوجتي قد لاحظت ذلك. ولكني أعترف بكل صراحة: رغم أني قطعتُ الخاتم، ورغم معرفتي من أين فتحتُ الدفتر، فإني لم أقرأ منه حرفاً واحداً. فمن الصعب على حاسر البصر مثلي أن يقرأ خطاً بهذه النعومة. أتمنّى أن تصدّق ذلك. صحيح أن زوجتي خُلقت هكذا، فكلّما قلتُ لها إني لم أقرأه كلما ظنّت أني قرأته. وإن كانت ستظن أني قرأتُ مذكراتها وأنا لم أقرأها، فمن الأفضل لي أن أقرأها! ولكن، لا، لن أقرأها. في الواقع إني أخشى أن أعرف كيف ستعبّر في مذكراتها عن مشاعرها نحو كيمورا. أرجوكِ يا عزيزتي أيكو ـ كو ألا تكتبي شيئاً عن هذا الموضوع في مذكراتك. لن أقرأها خفيةً عنك، ومع ذلك لا تكتبي الحقيقة حول هذا الموضوع. حتى لو كنتِ تكذبين، قولي إن كيمورا ما هو بالنسبة إليك إلا وسيلة لتحريضي، ولا شيء آخر.

هذا الصباح أتى كيمورا ليدعو زوجتي إلى السينما، وقد رجوته ليفعل ذلك، وقلتُ له: «عندما أبقى في البيت، في هذه الأوقات قلما تخرج زوجتي، فهي تشتري جميع ما تريد عن طريق الخادمة العجوز، وهذا أمر غريب، فأَخْرِجْها لساعتين أو ثلاث على الأقل». حتى الآن، آلت توشي ـ كو على نفسها أن ترافقهما، وأنا أعاني في فهم تفكيرها، فهي تشبه أمها، ولكن بتعقيد أكثر، وأنا لا أستغرب أن تلومني على عدم محبتها أكثر، كمعظم الآباء، وأني أبدو مشغوفاً بأمها. إذا كان هذا تفكيرها فهي مخطئة، لأني أحبهما بالتساوي. وحدَها طريقتي في محبتهما هي المختلفة. فالأب لا يستطيع أن يحب ابنته حباً جارفاً، ويجب أن أشرح لها ذلك عندما تسنح الفرصة.

هذا المساء، وللمرة الأولى منذ أن انتقلت توشي ـ كو وجدنا أنفسنا مجتمعين، نحن الأربعة، على طاولة العشاء. ذهبت توشي ـ كو أولاً، وبعد الكونياك تصرّفت زوجتي كعادتها. وعندما انسحب كيمورا في وقت متأخر، أعدتُ له البولارويد قائلاً: «لا ريب في أن عدم الاهتمام بتحميض الصور أمر مفيد، ولكن رغم أن استخدام الفلاش أمر مُضجر، فإن استخدام آلة تصوير عادية أسهل، أليس كذلك؟ أعتقد أني سأستخدم زيس ـ إيكون التي أملكها في البيت». فسألني كيمورا: «وهل ستظهّر الصور في الخارج؟» أجبتُه: «لقد فكّرتُ ملياً في الأمر، ألا تريد أن تظهّر لي الأفلام عندك؟» بدا كيمورا منزعجاً بعض الشيء، وسألني: «ألا أستطيع تظهيرها عندك؟» سألتُه: «ألا تشكّ أية صور أقصد؟» قال: «لا أعرف بالضبط». فأضفت: «إنها صور لا أستطيع أن أُظهِرها في الخارج، ولا أستطيع أن أُظهِّرها في البيت. وبالإضافة إلى ذلك، بما أني أريد أن أكبّرها، فليس لدي مكان مناسب هنا لإقامة غرفة سوداء. ألا يمكن إقامة غرفة

سوداء في البيت الذي تسكنه؟ ليس هناك إلا أنتَ، وأنتَ تستطيع رؤية الصور بلا مانع». أجابني: «لا أستطيع القول أنه لايوجد مكان. سوف أكلّم صاحب البيت في الأمر».

28 شباط

أتى كيمورا اليوم في الثامنة صباحاً، وكانت زوجتي ما تزال نائمة. قال لي إنه مرّ وهو في طريقه إلى الجامعة، وكنتُ ما أزال في سريري، ولكن عندما سمعتُ صوته، نهضتُ ودخلتُ الصالون. قال مباشرة: «كل شيء على ما يرام يا أستاذ». لأول وهلة، تساءلتُ عما يقصده؛ وكان يقصد الغرفة السوداء. في البيت الذي يسكنه، الحمام لم يعد يعمل، فتكون تلك الغرفة خاليةً، ولا مانع من استخدامها، ومجرى الماء يعمل تماماً، فقلتُ له أن يُسرع في إقامة الغرفة.

3 آذار

على الرغم من أن كيمورا قال لي إنه منشغل جداً بالامتحانات، فقد بدا أمس مستعجلاً أكثر مني. مساء أمس، أخرجتُ آلة تصويري إيكون التي كنتُ قد أهملتُها منذ زمن طويل، والتقطت الصور الست والثلاثين التي في الفيلم. واليوم أتى كيمورا ساهماً وسألني وهو يدخل إلى مكتبي وهو ينظر إليّ مباشرةً: «هل أستطيع الدخول؟». بكل صراحة، كنتُ أتساءل حتى هذه اللحظة، ودون أن أُحلّل السؤال، إن كان يجدر بي أن أعهد إليه بتظهير الصور. هو رأى مراراً جسد إيكو ـ كو عارياً، وإن كان يجب عليّ أن أعهد بهذا العمل لأحد، فلا يمكن أن يكون إلا هو. ومع ذلك، فهو لم يرَ جسدها إلا للحظات قصيرة جداً، ولم يرَ

إلا أجزاءً منه، ولم يتأمّله بعمق في وضعيات غير لائقة ومن زوايا مختلفة. ألستُ أبالغ في إثارته عندما أعهد إليه بهذا العمل؟ وإذا اكتفى بذلك فستكون الأمور على ما يُرام، ولكن ألن تشغله مشاغل أخرى؟ وإذا ذهبت الأمور إلى أبعد فمن سيكون المسؤول عن أثارتها؟ أنا، وسوف أكون الملومَ الوحيد. أما هو فليست لديه أية مسؤولية. عليّ أن أفكّر في اللحظة التي يمكن أن ترى فيها زوجتي هذه الصور. أولاً: ستستشيط غضباً لأني التقطتُ الصور من دون علمها، ثم لأني ظهّرتُها على يد شخص آخر. من المؤكّد أنها ستتخذ هيئة الغاضبة، على الأقل. ثم، بما أني، أنا زوجها، أريتُ كيمورا صوراً لزوجتي في وضعيات مخجلة، فقد تستنتج من ذلك أني سأسمح لها بخيانتي مع كيمورا. يريد القدر، وأنا أصل إلى افتراضات كهذه، أن أشعر بالغيرة تتنامى في داخلي، وأنه بسبب هذه الغيرة أشعر، ودون خجل مزيّف، برغبة في أن أراها تتنامى.

عندما اتّخذتُ قراري، قلتُ لكيمورا: «سوف أعهد إليك بتظهير هذه الصور، فلا تُريها لأحد على الإطلاق. قُم بكل شيء بمفردك. وأَرِني الصور بعد تظهيرها، وسأختار الأفضل منها، وسأدفع لكَ لكي تكبّرها».

من المؤكد أن كيمورا كان في غاية القلق عندما أجابني: «حسنٌ...» وهو يحاول أن يُظهر وجهاً خالياً من أية تعابير. وبعد أن أفهمني موافقته الصامتة، ذهب.

7 آذار

اليوم أيضاً، كان مفتاح الخزانة الصغيرة مرميّاً على أرض المكتب. إنها المرة الثانية في هذه السنة. وكانت الأولى في 4

كانون الثاني. عندما دخلتُ إلى المكتب لتنظيفه، كان المفتاح على الأرض أمام المزهرية ذات العنق الطويل التي غُرست فيها نرجسة. هذا الصباح لاحظتُ أن أزهار الخوخة قد ذبلت وأردتُ أن أستبدلها بغصن كاميليا. عندها وجدتُ المفتاح ساقطاً في المكان نفسه. قلتُ لنفسي: ثمة سبب لذلك. فتحتُ الدرج وأخرجتُ منه الدفتر الذي كُتبت فيه المذكرات. يا للمفاجأة! لقد كان مختوماً بشريط سيلوفان كدفتري. لقد قصد زوجي أن يقول، بعكسي: «ستفتحينه بكل تأكيد لتري ما فيه!». كان شبيهاً بالدفاتر التي يستخدمها طلاب الجامعات، وكان غلافه من الكرتون اللامع. بدا لي الشريط أسهل نزعاً من شريطي. وخَزَني الفضول. كنتُ أريد أن أرى إن كنتُ أستطيع أن أنزع الشريط دون أن أترك آثاراً، وبفضول محض نزعتُه. حاولتُ إعادة لصقه بعناية، لكنّ آثاراً بقيتْ. وعلى الرغم من كل شيء فقد تأذّى كرتون الغلاف اللامع. صحيح أني حافظتُ على مكان لصق الشريط، ولكن عند النزع توسّع الأثر. لا يمكن إخفاء أن أحداً ما قد فتح الدفتر. ألصقتُ شريطاً آخر، ولكن من الطبيعي أن يلاحظه زوجي، ولا ريب في أنه سيظن أني قرأتُ مذكراته خلسةً. ومع ذلك، فقد كرّرتُ أكثر من مرة أني لم أقرأ منها كلمةً واحدة؛ وأنا أقسم بذلك أمام الآلهة. زوجي يعرف أني أكره سماع القصص غير اللائقة، فربما أراد بهذه الطريقة أن يبدأ معي حديثاً. وهذا سبب إضافي لكي أشمئزّ من قراءتها. فتحتُ دفتر زوجي لكي أقدّر سماكته فقط، وكان ذلك من باب الفضول المحض. وقع بصري على صفحة مكتوبة بخط رفيع جداً وعصبي، وبريشة نافدة الصبر، فكان الخط شبيهاً بأرجل ذبابة، فسارعتُ إلى قلب الصفحة. اليوم لاحظتُ أن عدة صورٍ إباحية كانت مُلصقة على بعض الصفحات. جعلني الاضطراب أغمض عيني وأقلب تلك

الصفحات بأسرع من ذي قبل. تُرى من أين أتت هذه الصور؟ ولماذا ألصقها هنا؟ ألا يرمي من ذلك إلى أن يجعلني أراها؟ من يمكن أن تكون المرأة التي التُقطت صورها؟ سرعان ما خطرت ببالي فكرة شنيعة. في هذه الآونة الأخيرة نما لدي انطباعٌ بأن غرفتي قد أضيئت فجأةً مرةً أو مرتين ليلاً. وفكرتُ حينذاك أن أحدهم كان يصوّرني بمساعدة فلاش. من كان هذا الأحدهم؟ تارةً كنتُ أتصوّر أنه زوجي، وتارةً أخرى كيمورا. وعندما أفكر بذلك الآن أتساءل إن كان حلماً أو وهماً. في الواقع، لا يمكن أن يكون إلا زوجي ذاك الذي صوّرني. ومن المستحيل أن يكون كيمورا. أذكر أن زوجي قال لي يوماً: «أنتِ لا تعرفين مقدار جمال جسدك! أريد أن أصوّره لأريكِ إياه». هذا مؤكّد: أنا مَنْ في هذه الصور.

وأحياناً كان لدي انطباع بأني أُعرّى. وحتى الآن كنتُ أتساءل ما إذا كان ذلك حلماً سيئاً، ولكن إذا كانت هذه الصور صوري فقد كان ذلك واقعاً. لو كنتُ مستيقظة، لما آلمني أن تُلتقط صوري هكذا. ولكن ما دمتُ لا أعرف أني أُصوَّر فلا أظن أني أستطيع فعل شيء. وعلى الرغم من أني أحكم على هذا التصرّف حكماً سيئاً، لأن زوجي يشعر باللذة في أن يراني عارية، فأنا أعتقد أن من واجبي، بوصفي امرأة شريفة، أن أسمح له بأن ينزع ملابسي دون أن أعرف. لو أني كنتُ من تلك النساء المليئات بالفضيلة المنتميات إلى عصر الإقطاع، حيث كانت المرأة تطيع أوامر زوجها طاعةً عمياء، أعرف أن من واجبي أن أقوم بما أؤمَر به، مهما كان شعوري مريراً. بالإضافة إلى ذلك، لو لم يكن زوجي يشعر بالإثارة من هذه الألعاب المجنونة لما تمكّن من إشباعي، وهذا مبرّر آخر. ليس هذا من واجبي فحسب، لأني كتعويض على شرفي ووداعتي،

أتلقّى الإشباع الكامل لحاجاتي اللامحدودة. ومع ذلك، لماذا لايكتفي زوجي بأن يراني عارية تماماً؟ بل يعمد إلى تصويري وإلصاق صوري في دفتر مذكراته؟ هل يريد أن يريني إياها؟ ألا يعرف تماماً أن إباحية بلا كوابح، وخجلاً أقصى، مرتبطان ارتباطاً وثيقاً؟

ثم لمن عهد زوجي بتظهير الصور؟ هل كان من الضروري أن يضع مثل هذه الأشياء أمام ناظر شخص غريب؟ هل يريد بكل بساطة أن يجعلني أضحوكة؟ أم إنه يعلّق على ذلك دلالة معينة؟ هل يجب أن أفهم أنه، وهو الذي يعدّل دائماً «حبي للأمور اللائقة»، يريد أن يصحّح لي خجلي العبثي؟

10 آذار

لستُ أدري إن كان عليّ أن أكتب هذا. إني أتساءل عما سيحدث عندما ستقرأ زوجتي ما أكتبه. ولكن يجب أن أعترف أني أتخيّل بعض الاضطرابات الدماغية والجسمية منذ بعض الوقت. قلتُ «أتخيّل» لأني أعتقد أن هذا ليس عُصاباً جدياً. بكل تأكيد، لم أُحْبَ عند ولادتي بأقل مما حُبيَ به متوسّطُ الرجال، ولكن منذ أن بلغتُ سنَّ الكهولة، ولكي أواجه متطلبات زوجتي التي تفوق الحد، بدّدتُ قواي باكراً، واليوم نقصت شهيّاتي نقصاً كبيراً. أو بالأحرى لا؛ هي ما تزال موجودة، ولكن ليس لدي الطاقة الضرورية لإشباعها. لذا عمدتُ إلى إثارة قوتي بإرغامها بشتى الوسائل المصطنعة وغير المعقولة بحيث أصبح مكافئاً لامرأة قوتها لا تنضب بصورة مَرَضية. ولكنني أتساءل بقلق كم من الوقت يمكن أن يدوم هذا؟

خلال عشر سنوات، كنتُ الزوج الذي يخاف، بصورة عامة،

من عدم التمكّن من مواجهة هجمات زوجته، ولكن لم يعد الأمر كذلك الآن. فهذه السنة تعلّمتُ فجأةً أن أستخدم ذاك المحرّض الذي يُدعى كيمورا، واكتشفتُ هذا الدواء الرائع، وأنا اشعر الآن بأني محاط بشهيات غير عادية. بالإضافة إلى ذلك، استشرتُ الدكتور إيبا من أجل زيادة طاقتي، وها أنا، بصورة عامة، أتناول حقنةً من الهرمونات الذكرية مرةً في الشهر. ولما فكّرتُ أن هذا غير كافٍ، أخذتُ أحقن نفسي كل يومين أو ثلاثة بخمسمائة وحدة من الهرمون الغدّي النخامي (أقوم بذلك بنفسي دون أن يعرف الدكتور إيبا). ومع ذلك، فإن القوة التي أمتلكها ربما لا تعود إلى هذه الأدوية، بل إلى الإثارة النفسية. إن الحالة العنيفة التي تسبّبها الغيرة، والدافع الجنسي المتزايد بسبب رؤية جسد زوجتي قاداني إلى حدود الجنون. والآن، أنا أكثر إباحية من زوجتي بكثير. ولا أستطيع أن أتعرّف إلى السعادة التي أشعر بها ليلةً بعد ليلة عندما أغوص في نشوة لم أكن لأتصوّرها ولا حتى في الحلم، ولكن في الوقت نفسه أفكّر أن هذه السعادة لا يمكنها أن تدوم، وأن العقاب سيأتي ذات يوم، وأني أستهلك حياتي في كل ثانية. وأنا أتساءل حالياً إن كنتُ لا أتلقّى العلامات السابقة لهذه العاقبة، فقد شعرتُ ببعض منها في عقلي، كما في جسمي. ففي يوم الاثنين من الأسبوع الماضي، عندما مر كيمورا صباحاً وهو ذاهب إلى الكلية، وكنتُ ما أزال في السرير. أردتُ أن أنهض وأنزل إلى الصالون. في تلك اللحظة حدث أمرٌ غريب: في اللحظة التي نهضتُ فيها تماماً، رأيت الأشياء التي تحيط بي: مدخنة المدفأة والأبواب المنزلقة والأعمدة وشرّاعات الأبواب، كلها تضاعفت بشكل غامض. قلتُ لنفسي إن ذلك بسبب السنين التي تنزلق بهدوء وتجعل البصر يضطرب شيئاً فشيئاً. سارعتُ إلى فرك عينيّ، ولكن لا بد أن

السبب كان شيئاً آخر. لا بد أن تغيّراً ما قد حدث في بصري. حتى الآن، عندما يأتي الصيف، أشعر أحياناً بدُوارات سببها نقص تروية دماغي، أما الآن، فإن الاضطراب مختلف حتماً. إذا كانت الإنارة جيدة، تكفي دقيقتان أو ثلاث ليعود كل شيء عادياً، أما الآن فعلى الرغم من انتظاري بقيت الأشياء تبدو لي مضاعفة. حوامل الأبواب ذات اللوحات الورقية ونقاط التقاء نوافذ المرحاض أو الحمام كلها بدت مضاعفة وملتوية قليلاً. كان تضاعف الخطوط والتواؤها خفيفاً، ولم يكن يزعج حركاتي، ولم يسترعِ انتباه الآخرين إليّ. هذه الحالة دامت بلا توقّف منذ يوم الاثنين من الأسبوع الماضي. ولم يشكّل ذلك عائقاً، ولم يكن مؤلماً، ولكني لا أستطيع أن أنفي أنه ترك لديّ انطباعاً مزعجاً. عليّ أن أفحص نفسي عند طبيب عيون، ولكني أتصوّر أن الأمر لا يعود إلى اضطراب في البصر فقط؛ بل يجب أن يكون سبب هذه الوعكة عميق ومميت، فبتُّ أخشى الاستشارة الطبية. وفضلاً عن ذلك أعتقد أن هذا يعود في جزئه الأكبر إلى مسألة الأعصاب، ولكني أشعر بين وقتٍ وآخر بالدوار وأفقد توازني إلى درجة أني أكاد أسقط إلى اليمين أو إلى اليسار. أنا لا أعرف أين تمرّ الأعصاب المسؤولة عن التوازن، ولكني أشعر على الدوام بما يُشبه الفراغ يحدث في الجزء الخلفي من رأسي، فوق النخاع الشوكي تماماً، وحول هذا المركز يميل جسمي جانباً. أستطيع أن أستشفّ من هذا عُصاباً. ولكنْ حدث أمرٌ غريب أمس. نحو الساعة الثالثة عصراً، أردتُ أن أهتف لكيمورا فعجزتُ عن تذكّر رقم هاتف كلّيته التي أتصل بها يومياً. قد يحدث للجميع أن يعانوا من ثقب مؤقت في ذاكرتهم، ولكن ما حدث معي ليس شبيهاً بذلك، فقد كان غياباً تامّاً. لم أستطع تذكّر اسم كيمورا الأول، بل وعجزتُ عن تذكر اسم خادمتنا العجوز.

كل ما تذكّرتُه هو اسم زوجتي: إيكو ـ كو، وابنتي: توشي ـ كو. أما اسم المرحوم والد زوجتي واسم أمي فقد هربا مني. ولم أتذكّر اسم الأسرة التي تسكن عندها توشي ـ كو رغم كل الجهود التي سفحتُها. كل ما أعرفه أنها سيدة فرنسية لديها زوج ياباني، وهي تعلّم اللغة الفرنسية في جامعة دوشيشا. الأمر الأكثر رهبة هو أني نسيتُ عنوان بيتي؛ كانت ذاكرتي تصل حتى الدائرة، أما ما تلا ذلك: فقد فرّ مني يوشيدا ـ أوشي نو ميا ماشي. انتابني قلق فظيع، فإن استمرّت هذه الحالة، وإن تفاقمت شيئاً فشيئاً، عليّ أن أتخلّى قريباً عن مهامي كأستاذ جامعي. ليس هذا فحسب، بل إني لن أستطيع أن أخرج وحيداً، ولا أن أستقبل أحداً، وسأغدو عاجزاً في النهاية. ومع ذلك، في هذه اللحظة، فإن غياب ذاكرتي ما يزال يتعلّق بصورة أساسية بأسماء الأشخاص والأماكن، وأنا لا أنسى الأحداث. لا أتذكّر اسم هذه الفرنسية، ولكني أعرف أنها موجودة، وأنها أجّرت غرفةً لتوشي ـ كو. أخيراً، إن الأعصاب التي تنقل أسماء الأشخاص والأشياء في داخل دماغي هي التي شُلّت، ولكن مجموع الأعضاء المسؤولة عن الإدراك والنقل لم يُصبها الشلل بعد.

لحسن الحظ أن الزمن الذي استغرقه هذا الشلل لم يتجاوز العشرين أو الثلاثين دقيقة. وسرعان ما عادت الخطوط العصبية إلى العمل بعد أن قُطعت. وعادت الذاكرة المفقودة وصار كل شيء كما في السابق.

وخلال هذا الوقت، كنتُ قد تحمّلتُ سراً قلقي في أن أعرف كم من الوقت ستدوم هذه الحالة؛ ولم أكلّم بها أحداً؛ ولم يلاحظ أحدٌ شيئاً. ومنذ ذلك الحين لم يحدث شيءٌ جديد وسارت أموري بخير. ومع ذلك لمّا يتبدّد بعدُ القلق من أن أسقط من جديد في

هذه الحالة في لحظة غير معروفة، وليس لعشرين أو ثلاثين دقيقة، بل ربما ليوم أو يومين أو سنة أو سنتين، أو ربما لما تبقّى من حياتي.

إذا قرأت زوجتي هذا، فأي إجراء ستّتخذ؟ هل ستفكّر بمستقبلي وستسيطر بمعنى ما على تصرّفها؟ بقدر ما أستطيع أن أفترض، أخشى أنها لن تفعل. وحتى لو أمرها عقلها بهذا التحكّم، فإن جسدها الذي لا يشبع سيمنعها من أن تُصغي لصوت عقلها، ومن المحتمل ألا تكفّ عن الضغط عليّ إلى حدّ الإنهاك الكلي لإشباع رغبتها.

ربما ستفكّر: «ماذا يقول؟ كنتُ أظن أن زوجي سيتابع بطريقة مُرضيةٍ جداً، ولكنه في النهاية لا يستطيع مواصلة طريقه وسيستسلم. إن كان يهدّدني هكذا، فذلك لكي أعدّل من قوة هجماتي».

لا، حالياً، لم أعد قادراً على التحكّم بنفسي. ولم أملك قطّ كثيراً من الشجاعة في مواجهة المرض، بل إني جبان إلى أقصى حد أمامها، ولكنْ حدث أني اكتشفتُ في سن السادسة والخمسين أن الحياة تستحق أن تُعاش، وأني في بعض النواحي أكثر اندفاعاً من زوجتي.

14 آذار

وصلت توشي ـ كو هذا الصباح أثناء غياب زوجي، وقالت لي: «أريد أن أكلّمكِ يا أمي». وكان وجهها يحمل علائم أمر جلل. فسألتها عما تقصده فقالت: «لقد رأيت الصور عند كيمورا مساء أمس!» وثبّتت نظرها إلى عينيّ. وبما أني لم أفهم ما تعنيه، أعدتُ سؤالي فأجابت: «يا أمي، في كل الظروف، أنا معك.

قولي لي الحقيقة. مساء أمس، مررتُ بكيمورا لأنه وعدني أن يعيرني كتاباً فرنسياً. وكان غائباً، ولكني دخلتُ وأنزلتُ الكتاب عن الرف. فرأيتُ صوراً بقياس بطاقة الزيارة، مكدّسةً هناك، فما معنى ذلك يا أمي؟ لديه أشياء لا أفهمها... ماذا يخبّئ عني؟». عرفتُ أن تلك الصور هي نفسها التي رأيتُها منذ بعض الوقت مُلصقة على دفتر مذكّرات زوجي. وكما افترضتُ، فقد كنتُ أنا من التُقطت لها هذه الصور في أوضاع غير لائقة. ولكني لم أستطع أن أعطي توشي ـ كو تفسيرات مباشرة. يبدو أنها تشكّ في أن أمراً أكثر فظاعةً يختبئ خلف ما اكتشفتْه. لا بد أنها فهمت أن هذه الصور لم تكن إلا دليلاً على علاقات لاأخلاقية بيني وبين كيمورا. كان من واجبي، من أجل زوجي، ومن أجل كيمورا ومن أجلي أنا، أن أفسّر لها الأمور مباشرةً، ولكن حتى لو أني عرضتُ أمامها الحقيقة كاملةً فمن المشكوك فيه أن تقبلها بسهولة. قلتُ لها بعد أن فكّرتُ عدة لحظات: «هذا أمر قد يبدو لكِ مستحيلاً، ولكن صدّقيني أني لاأعرف أن صوراً قد التُقطت لي في وضعيات مريبة. وإن وُجدت فإن أباك هو من التقطها أثناء نومي. وكل ما فعله كيمورا هو أنه ظهّرها لأبيك. لا يوجد بيني وبين كيمورا أية علاقات من أي نوع. لماذا نوّمني أبوكِ؟ ولماذا التقط هذه الصور؟ ولماذا لم يظهّرها بنفسه، وعهد بها إلى كيمورا؟ إني أترك لكِ حرية التفكير بالأسباب. من الصعب على أمٍّ أن تشرح مثل هذه الأمور لابنتها. وأنا لا أريد أن أسمع المزيد حول هذا الموضوع. كل ما قمتُ به قمتُ به نزولاً عند أوامر زوجي. وأنا أرى أن من واجبي كزوجة أن أكون شريفة أمام أبيكِ إلى أقصى ما يمكن، وأريدكِ أن تصدّقي أني تصرّفتُ حسب ما طُلب مني، حتى ضد إرادتي. ربما كان من الصعب عليكِ أن تفهمي، أما عن أمكِ التي ترعرعت على مبادئ وأخلاقيات

الماضي فمن المستحيل عليها أن تفعل شيئاً آخر. إذا كانت صور لجسد أمكِ العاري تُمتّع أباكِ إلى هذا الحد، فإن أمكِ ستقف بلا خجل زائف أمام العدسة، متحمّلةً خجلها، وهذا أفضل بكثير من أن يقوم شخص آخر غير أبيك بالتقاط الصور».

سألتني توشي ـ كو مذهولةً: «أماه! أماه! هل أنتِ جادة فيما تقولين؟» أجبتُها: «كل الجدّية!» فقالت بصوتٍ مندفع: «أنا أحتقركِ يا أمي!». كان الغضب الذي أثرتُه عند توشي ـ كو يمتّعني بعض الشيء، فقد بالغتُ قليلاً في إبداء مشاعري. قالت لي بوجهٍ غاضب ارتسمت عليه ابتسامة جامدة: «أماه، أنتِ نموذج للمرأة الفاضلة!» لقد بدا لها أمراً لا يُصدَّق ولا يُطاق أن يعهد أبوها بتظهير الصور لكيمورا، ولم تكفّ عن اتّهامه بأنه عذّب كيمورا بلا سبب. فقلتُ لها: «لا يجدر بفتاة أن تحشر نفسها بأمور كهذه. أنتِ تدّعين أن أباك أهانني، أليس كذلك؟ أنا لا أظن ذلك، فمايزال والدكِ مشغوفاً بي. أعتقد أنه أراد أن يتأكّد عبر رجلٍ آخر أن جسد أمكِ بقي جميلاً وغضّاً رغم السنين. ربما كان في هذا الشعور شيء مَرضي، ولكني أتفهّمه». شعرتُ بضرورة الدفاع عن زوجي، وأردتُ أن أعبّر، قدر استطاعتي، عن أمور صعبة. آمل أن يُدرك زوجي الذي سيقرأ هذه المذكّرات خلسةً بكل تأكيد كم تجشمتُ من عناء لأجد له أعذاراً.

قالت توشي ـ كو: «ومع ذلك، أهذه هي مشاعره الوحيدة؟ بابا يعرف فكرة كيمورا عنكِ، إذن، هذا سيئ جداً من ناحيته». ولم أُجبها بشيء.

كانت توشي ـ كو تعتقد أن كيمورا لم يترك الصور في الكتاب سهواً؛ بل تعتقد أن في رأس كيمورا سبباً خاصاً، وقالت لي إنه يريد بهذا بكل تأكيد أن يُفهِمها بعض الأمور. لقد أطلعتني

على بعض الملاحظات التي لاحظتها بشأن كيمورا، والتي من الأفضل، على ما أعتقد، ألا أسجّلها في دفتر مذكراتي بسبب زوجي.

18 آذار

لم أعد إلى البيت إلا بعد الساعة العاشرة بسبب المأدبة المُقامة لساساكي بمناسبة عودته إلى اليابان. يبدو أن زوجتي كانت قد خرجت في المساء. كنتُ أفترض أنها ذهبت إلى السينما. أخذتُ أكتب مذكراتي في مكتبي. تجاوزت الساعةُ الحاديةَ عشرة ولم تكن قد عادت بعد. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف أتاني اتصال هاتفي من توشي ـ كو: «بابا، تعالَ قليلاً؟ إلى أين؟ ـ إلى سيكيدن ـ شو، فأمي هنا». قلتُ لها: «لقد تأخّر الوقت، قولي لها أن تعود. فقد ذهبت البايا(*)، وأنا لوحدي». قالت فجأة: «أمي سقطت في حمّام سيكيدن ـ شو، هل يجب أن أستدعي الدكتور كوداما؟» سألتُها: «من معكما؟» فأجابت: «نحن الثلاثة، وسأشرح لكَ لاحقاً. ولكن أعتقد أن من الواجب إعطاءَها حقنة مباشرةً. إذا كنتَ لا تستطيع أن تأتي، فسأطلب الدكتور كوداما». «لا داعي لإزعاجه، سأعطيها الحقنة بنفسي. تعالي إلى هنا لحراسة البيت». منذ بعض الوقت وأنا أملك في البيت دائماً وسائل إعطاء حقنة الكافور. تركتُ البيتَ خالياً، وذهبتُ دون أن أنتظر عودة توشي ـ كو. في تلك اللحظة اجتاحني الخوف من غياب ذاكرتي كما حدث منذ أيام. كنتُ أعرف أين يوجد بيت سيكيدن ـ شو، ولكني لم أدخله قطّ. كانت

(*) البايا هو الاسم الشعبي الذي يُطلق على المرأة العجوز. ولقد تركنا هذه الكلمة أحياناً، وفي أحيان أخرى استخدمنا ترجمتها: الخادمة العجوز.

توشي ـ كو تنتظرني أمام الباب، قادتني مباشرةً إلى الغرفة المستقلّة التي تسكنها في الحديقة، وهي تقول لي: «أنا سأذهب لحراسة البيت». حيّاني كيمورا قائلاً: «أنا آسف على هذا الإزعاج». لم أطلب منه تفسيرات، وهو لم يقل شيئاً. كلانا كنّا نشعر بالانزعاج. سارعتُ إلى إعداد الحقنة، وكانت زوجتي تنام بهدوء على السرير الموضوع أمام البيانو. وعلى طاولة منخفضة تبعثرت الأطباق والكؤوس في فوضى عارمة. وإلى جانب السرير، عند رأس زوجتي، كان الكيمونو الذي تخرج به والمزيّن بأزهار اصطناعية، وبأشرطة معلّقاً على مشجب كانت تستخدمه توشي ـ كو لتعليق ملابسها الغربية. كانت زوجتي نائمةً وهي ترتدي قميصاً فقط. على الرغم من سنّها كانت تحبّ أن تلبس ملابس الشباب، ولكني كنتُ أجد هذا القميص شفّافاً بصورة خاصة. لقد انتابني هذا الشعور بسبب الساعة غير العادية والمكان. كان نبضها شبيهاً به في مثل تلك الظروف.

قال كيمورا ببساطة: «لقد نقلناها إلى هنا، الآنسة توشي ـ كو وأنا». كان جسمها مجفّفاً بسرعة، ولكنه كان ما يزال يبدو رطباً في بعض الأماكن حيث كان القميص ملتصقاً به. لم يكن الحزام معقوداً، ففاجأني أمرٌ معين: لقد كان شعرها مرخياً يتدلّى بشكل فوضوي، ليبلّل ياقةَ القميص قليلاً. حتى الآن، عندما كانت تسقط في حمّامنا، كان شعرها يبقى مربوطاً، ولم يكن قطّ متروكاً مثل اليوم. فكّرت: ربما هكذا يحبّه كيمورا. كان كيمورا يبدو عارفاً بموجودات مطبخ هذا البيت؛ إذ حمل من الحمام بعض الأواني وغلا الماء وساعدني على تعقيم المحقنة.

بعد مضي ساعة، قلتُ له: «لا أستطيع أن أتركها نائمة هنا». فقال كيمورا: «أصحاب هذا البيت ينامون باكراً، ويبدو أن

السيدة لم تعلم شيئاً». عاد النبض مقبولاً جداً. طلبتُ من كيمورا أن يطلب سيارة أجرة. فقال: «سأحملها على ظهري حتى هناك». وعرض عليّ ظهره فحملتُ زوجتي من ذراعيها ووسط جسمها ووضعتُها كما هي، بالقميص، على ظهر كيمورا. أنزلتُ الكيمونو والمعطف عن المشجب وغطّيتُها بهما. اجتزنا الحديقة واتجهنا نحو الباب الذي كانت سيارة الأجرة تقف أمامه. وضعناها معاً في السيارة. وكانت سيارة أجرة صغيرة بستين ينّاً، وجلس كيمورا في المقعد الأمامي. كانت رائحة الكونياك تفوح من قميصها وملابسها بحيث أن الهواء بدا خانقاً داخل السيارة. كنتُ أضع زوجتي بين ذراعيّ ورأسي غائص تحت شعرها الذي صار أكثر فأكثر برودةً. أمسكتُ قدميها بيديّ وطوّقتهما وقبّلتُهما (لم يكن كيمورا قادراً على رؤيتي، ولكنه قد يكون توقّع حركتي). ساعدني على حملها حتى غرفتها.

وقال: «يجب أن تثق بي يا أستاذ بشأن أحداث هذا المساء، والآنسة توشي ـ كو مطّلعة عليها. هل يمكنني أن أنسحب الآن؟». أجبتُ ببساطة: «حسنٌ». ثم مضى.

عند ذلك تذكّرتُ أن توشي ـ كو أتت لحراسة البيت. نظرتُ في الصالون، وفي غرفتها؛ ولم تكن فيهما. منذ قليل عندما نزلتُ من السيارة حاملاً إيكو ـ كو بين ذراعيّ كانت في المدخل، ساهمةً. من المؤكّد أنها ذهبت إلى سيكيدن ـ شو بعد أن دخلنا دون أن تقول كلمة واحدة.

عندها صعدتُ إلى مكتبي لكي أسجّل مباشرةً هذه الأحداث كلها في مذكّراتي. وبينما كنتُ أكتب كنتُ أتذوّق مسبقاً كل الملذّات التي كنتُ قد خبرتُها سابقاً.

19 آذار

لم أغمض عيني حتى الفجر. ماذا يعني هذا الحادث الذي جرى مساء أمس؟ شعرتُ وأنا أفكّر به بلذة لا تخلو من الخوف. لم أتلقّ بعد أي تفسير له من كيمورا، ولا من توشي ـ كو ولا من زوجتي. لم تسنح الفرصة لذلك، ولكن ربما كان ذلك لأني لم أكن مستعجلاً لسماعِ أي تفسير. إني أشعر بلذةٍ بأن أفكّر وحيداً بما حدث، دون أن أعرف أيِ شيء. أليس كذلك؟ لا، ليس كذلك، بل هكذا... كنتُ أتخيّل طائعاً كل أنواع الفرضيات التي تدفعني إلى الغيرة وإلى الغضب، وتوقظ فيّ رغائب ما لها من نهاية. ولكني كنتُ واثقاً من أني حالما أقبض على الحقيقة، لن تلبث هذه المتعة أن تغيض. عند طلوع النهار أخذت زوجتي كعادتها تتلفّظ كلمات متنافرة: «كيمورا!» لقد رَدّدَتْ الاسم هذا الصباح بصورة متقطّعة، تارةً بقوة، وتارةً أخرى بهدوء. في لحظةٍ معينة، وبعد أن توقّف صوتها، وقبل أن تستأنف كلامها، بدأتُ...

في لحظة، اختفت غيرتي وانتحر غضبي، ولم أعد أتساءل إن كانت زوجتي غير واعية، إن كانت مستيقظة أم تتظاهر بالنوم. ولم أعد أعرف إن كنتُ أنا هنا، أم هو كيمورا... في تلك اللحظة تخيّلتُ أني ألج عالم البُعد الرابع. وفجأةً رأيتُ نفسي أرتفع شيئاً فشيئاً إلى الأعلى، حتى قمة السماء السابعة. ولم يعد الماضي إلا وهماً؛ كنتُ في تلك اللحظة أمتلك الوجود الحقيقي، وكنتُ وزوجتي متعانقان بقوة. ربما كنتُ سأموت، ولكن اللحظة التي كنتُ أعيشها كانت الأبدية.

19 آذار

أريد أن أسجّل في مذكراتي ما حدث مساء أمس بالضبط. كنتُ أعرف أن زوجي يعود متأخّراً، أخبرتُه أننا قد نذهب إلى

السينما. أتى كيمورا ليأخذنا حوالى الساعة الرابعة والنصف؛ تأخّرت توشي ـ كو في الوصول حتى الساعة الخامسة والنصف تقريباً. فقلت لها: «لقد تأخّرتِ!» فأجابت: «هذا التوقيت غير مريح، أما كان بإمكاننا أن نذهب إلى السينما بعد العشاء؟ أنا أدعوكِ اليوم يا أمي. إذن تعالي لتناول العشاء في سيكيدن ـ شو. فأنتِ لم تزوريني بعد. لقد اشتريتُ نصف فرّوج». ثم صحبتنا، أنا وكيمورا، ويداها محمّلة بنصف الفروج وبالخضار وعجينة الفاصولياء. وتناولت زجاجة كورفوازييه كان قد بقي فيها ما يقارب نصفها، وقالت: «سيكون ذلك إسهامك». فقلتُ لها: «من الأفضل أن تتركيها هنا لأن أباكِ غير موجود اليوم». «هذا عشاء مرتجل، وهذا سيجعله أكثر إمتاعاً». «هذا ليس عشاء احتفالياً، نحن ذاهبون إلى السينما، فكلما كان العشاء خفيفاً كلما كان أفضل». «إن السوكيّاكي(*) وجبة بسيطة حقاً!». قرّبنا من البيانو طاولتين صغيرتين، إحداهما حذاء الأخرى، ووضعنا عليهما موقداً غازياً، ومقلاةً استعرتُها من مالكة البيت. كان الطعام أكثر مما يكفي لثلاثة أشخاص، واستغربتُ عددَ المواد التي اشترتها: بصل وكونيّاكو وتوفو وجذور زنبق. لم تضع توشي ـ كو الكل دفعةً واحدة في المقلاة، بل أخذت تملؤها شيئاً فشيئاً. ما كنتُ لأصدّق أن فيها نصف فرّوج. وبالطبع، قبل أن ينتهي العشاء، دار الكونياك.

قال كيمورا الذي أفرط في الشراب: «أمر غير عادي أن تقدّمي الكونياك!». فقالت توشي ـ كو في أحد مروراتها: «لقد فات أوان السينما». كنتُ سكرانة جداً، وكان كل شيء يدور من

(*) السوكيّاكي طبق تقليدي يعرفه السيّاح جيداً: وهو عبارة عن شرحات من اللحم المقلي في مقلاة على موقد موضوع في وسط الطاولة. ويُضاف إلى اللحم عدة مقادير من الخضار المذكورة فيما بعد (الكونياكو هي درنات، والتوفو هي عجينة الفاصولياء المهروسة بالطاحون).

حولي، ومع ذلك لم يكن لدي الانطباع بأني تجاوزتُ الحد. فأنا أتحكّم بسكري بثقة إلى حدٍّ معين، وعندما أتجاوز هذا الحد كل شيء يصبح مخيفاً.

كنتُ أتساءل في بداية السهرة إن كانت توشي ـ كو تريد أن تُسكرني. وكنتُ متنبّهةً للأمر، ولكن انتباهي ما لبث أن تلاشى. وخلال شكي لم أستطع أن أنفي أني كنتُ أتوقّع نوعاً ما أن يحدث هذا، أو حتى إني كنتُ أتمنّاه. لستُ أدري أن كان ثمة اتفاق بين كيمورا وتوشي ـ كو، وما كنتُ لأستفيد شيئاً لو أني سألتهما، فامتنعت. قال كيمورا: «هل يحق لنا أن نشرب بهذا القدر بغياب الأستاذ؟». منذ بعض الوقت صار يتحمّل الكحول جيداً، يقدّمه لي، ثم لنفسه. كنتُ مقتنعة أني لم أكن أتصرّف بخلاف إرادة زوجي عندما أشرب مع كيمورا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى هذا الأخير. بل كنتُ أعرف أني بهذا أثير غيرة زوجي، وأنه يجد في هذا سعادته. لن أذهب إلى حد القول إن هدفي الوحيد كان إثارةَ غيرةِ زوجي، ولكني أستطيع القول وأنا مرتاحة البال بأني أشرب كاساً بعد الآخر.

من المبالغة القول بأني أحب كيمورا، ولكن الحقيقة هي أنه كان يعجبني. كان بوسعي أن أحبّه فوراً إن أردت. وكان يجب أن أصل إلى النقطة التي وصلتُ إليها لكي أوقظ غيرة زوجي، ولكن لو لم يعجبني كيمورا منذ البداية لما كنتُ سرتُ في هذه الطريق.

حتى الآن اختططتُ في حياتي مساراً واضحاً واجتهدتُ في ألا أتجاوزه، ولكن من الآن فصاعداً أتصوّر أنه قد يحدث لي أن أخرج عنه. أتمنى ألا يثق زوجي كثيراً بفضيلتي. ومن أجل طاعة أوامره، لقد تحمّلتُ حتى الآن، ورغماً عني، امتحاناً وصل إلى نقطة حرجة؛ ولم أعد واثقة من نفسي من الآن فصاعداً.

فمن ناحية، ودون أن يزعجني وجود زوجي، أودّ أن أرى بعينيّ جسدَ كيمورا العاري الذي أراه في نومي، وأظن أنه كيمورا في حين أنه يكون زوجي، أو أظن أنه زوجي ويكون كيمورا...

أتذكّر أني سرعان ما أصابني سُكْرٌ كامل، وذهبتُ لأختبئ في المرحاض. قالت لي ابنتي وهي تقف بالباب: «أمي، الحمام ساخن اليوم، وقد استحمّت السيدة فيه، فهل تحبّين الذهاب إليه؟». إن دخلتُ إلى الحمام، فقد أسقط، ومن سيُنهضني؟ ربما لن يكون ذلك توشي ـ كو، بل كيمورا... ظهرت هذه الفكرة ظهوراً غائماً في إحدى زوايا وعيي. وأذكر بغموض أن توشي ـ كو قالت لي مرةً أو مرتين: «أماه، افعلي، ما أقوله لكِ». فتلمّستُ طريقي حتى الحمّام وفتحتُ الباب؛ وما أزال أذكر أني خلعتُ ملابسي، أما ما حدث فيما بعد فقد فرّ تماماً من ذاكرتي.

24 آذار

مساء أمس، سقطت زوجتي بلا حراك من جديد في سيكيدن ـ شو. بعد العشاء، أتى الاثنان لأخذها إلى السينما. وبعد أن صارت الساعة الحادية عشرة، لم يكونوا قد عادوا بعد. شككتُ أن يكون أمرٌ ما قد حدث. وبما أن الوقت أخذ يتأخر أكثر فأكثر فكّرتُ بالاتصال هاتفياً، ولكني قلتُ لنفسي إن في هذا حماقة، وأخذتُ أنتظر اتصالهم. (بالإمكان تصوّر نفاد الصبر والعصبية اللذين تملّكاني وأنا أنتظر، وكم كان قلبي يخفق من فرط الترقّب). كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما ظهرت توشي ـ كو. جعلت سيارة الأجرة تنتظر، وقالت لي بأنه بعد السينما (هل كان ذلك صحيحاً؟) أوصلت وأمَّها كيمورا إلى بيته،

ولكنه هناك اقترح عليهما أن يرافق ابنتي إلى البيت، إذن ذهب الثلاثة إلى سيكيدن ـ شو ودخل معهما. أعدّت توشي ـ كو الشاي، وبما أن ربع زجاجة كورفوازييه كان قد بقي من يومٍ سابق، فقد تناولت الزجاجة التي كانت موضوعة على التوكونوما(*) وصبّت منه ملء ملعقة في قدحها، وكانت تلك البداية. ثم تناول الاثنان الزجاجة وتبادلا الأنخاب حتى فرغت الزجاجة. وحدث أن كان الحمام جاهزاً، وتعاقبت الأمور تبعاً للإيقاع نفسه الذي سارت عليه في الليلة السابقة. وتلك كانت تفسيرات توشي ـ كو المرتبكة.

سألتُها: «هل تركتِهما وحيدَين؟» فأجابتني: «نعم، لم يكن الهاتف قد انتقل، ولم يكن من السهل عليّ الذهاب إلى البيت الآخر لكي أتصل منه. وبما أنه، في جميع الأحوال، كان يلزمنا سيارة أجرة، فقد ذهبت للبحث عنها حتى وجدتها بعد لأي».

كانت تنظر إلى عينيّ نظرةً محمَّلة بأفكارٍ مسبقة. «في المرة السابقة، حالفني الحظ ووجدت سيارة أجرة مباشرةً، أما اليوم فلم أتمكن من إيجادها. وقفت لبعض الوقت في شارع الترامواي؛ ومرّ الوقت ولم تأت سيارة الأجرة. وذهبت حتى محطة سيارات أجرة كاموغاوا، واضطررتُ للصراخ لكي أوقظ أحد السائقين وأُنهضه من نومه. وصعدتُ معه، وها أنا هنا». ثم أضافت وكأنها تحدّث نفسها: «لقد غادرتُ البيت منذ نحو عشرين دقيقة». عرفتُ بأية خلفية قالت توشي ـ كو هذا الكلام، ولكني تظاهرتُ بأني لم ألاحظ شيئاً. وقلت لها: «أشكرك على عذابك. ابقي لحراسة البيت». أعددتُ ما يلزم للحقنة وانطلقتُ في السيارة نفسها. كنتُ ما أزال لا أعرف إن كان الثلاثة قد دبّروا

(*) حامل مرتفع قليلاً يحوي بداخله، بصورة عامة، عملاً فنياً أو شيئاً معيناً.

الأمر مسبّقاً. لا بد أن توشي ـ كو كانت المحرّضة؛ فقد تركت الآخرَين لوحدهما لمدة تزيد عن العشرين دقيقة، كما قالت، وكذلك أضاعت وقتاً على الطريق، فربما كان الزمن عشرين دقيقةً وربما ثلاثين. ولا بدّ أنها أضاعت ساعة على الأقل حتى وصلت إلى هنا. لا أجرؤ على التفكير بما يمكنه أن يكون قد حدث في تلك الغرفة خلال عشرين دقيقة، وربما ثلاثين.

كانت زوجتي نائمةً بالقميص، كما في المرة الماضية؛ وكانت ثيابها تتدلّى على الجدار، معلّقةً بإهمال على المشجب. جلب كيمورا الماء المغلي، وطستاً. وزوجتي، غير العابئة بما يجري، بدت لي أكثر سكراً من الليلة السابقة. ومع ذلك، رغم أنها اجتهدت في ذلك، فقد كنتُ على ثقة تامة (ونما لديّ هذا الانطباع بصورة خاصة أمس) بأنها تمثّل علينا. كان نبضها مقبولاً، وكان من المضحك حقاً إعطاؤها الحقنة؛ تظاهرتُ بتحضير حقنة الكافور، وحقنتها بالفيتامين. لاحظ كيمورا ذلك فقال لي بصوت خافت: «أستاذ! هل يكفي ذلك؟». «أوه، سيكون ذلك جيداً لهذا المساء. اليوم لا يبدو لي وضعها خطراً جداً». ودون أن أقلق حقنت الفيتامين...

نادت زوجتي كيمورا عدة مرات، بصوت مختلف عما كان سابقاً. ولم يكن تمتمةً، بل كان شكوى قويةً، صراخاً. ولحظة النشوة بدا نداءً مشحوناً. وفجأةً أحسستُ أنها تعضّ رأس إصبعي، ثم أتى دور شحمة أذني... وتلك أمور لم تكن قد أقدمتْ عليها حتى الآن. وإذ فكّرتُ أن كيمورا، وخلال ليلةٍ واحدة، قد غيّر زوجتي معطياً إياها هذه الجرأة كلها، تملّكتني غيرةٌ مجنونة منه، ولكن بالمقابل كنتُ ممتنّاً له. بل ربما كان عليّ أن أشكر توشي ـ كو أيضاً. يا للسخرية! فبدلاً من أن أشعر بالعذاب

شعرتُ بالفرح. من يعلم إذا لم تكن قد دخلت هذه الدقائق العجيبة في نفسيتي؟

وبعد أن أنجزتُ... أصابني دوار فظيع هذا الصباح. وجهها ورقبتها وكتفاها وذراعاها وحدود جسدها كلها بدت لي مضاعفة. وفوق جسدها رأيتُ جسداً آخر لامرأة. لا بد أني نمتُ بعد ذلك بقليل، ولكني حلمتُ أن زوجتي تضاعفت. في البداية كنتُ أراها اثنتين، ولكن فيما بعد بدت لي أجزاءً منفصلةً، تسبح في الهواء. كان هناك أربع عيون، وبجانبها أنفان يعلوان الشفتين بقدم أو قدمين. وكان الكل يسبح في جو صافٍ إلى أقصى الحدود، سماوي اللون؛ وكان الرأس والشعر أسودين، والشفتان قرمزيتين، والأنف أبيض نقياً. ولكن هذا الأسود وهذا الأحمر وهذا الأبيض كانت كلها صارخة أكثر من الألوان الواقعية التي لدى زوجتي، وعدوانية كإعلانات السينما.

كان هذا الانتشار القوي للألوان في الحلم دليلاً واضحاً على انهياري العصبي. شعرتُ بذلك بوضوح بينما الحلم يمرّ أمام عينيّ. كان لها ساقان يُمنَيان وساقان يُسريان، وبدت كلها تسبح في الماء: وكان بياضها عصيّاً على الوصف. ومع ذلك فقد كانت هذه السيقان، ودون أدنى شك، سيقان زوجتي. وإلى جانب السيقان راحت قدماها تسبحان بشكل منفصل. وأمام ناظري ارتفعَتْ كجبل غيمةٌ هائلة، بيضاء، كثيفة، تعرفتُ من خلالها إلى حدود مؤخرة زوجتي التي كنتُ قد صوّرتُها ذات مساء.

ثم، لا أستطيع أن أقول كم من الوقت بعد هذا الحلم أتتني رؤية أخرى. في البداية ظننتُ أن كيمورا هو من كان موجوداً، عارياً. وكان الرأس فوق الصدر تارةً رأس كيمورا، وتارةً أخرى كان رأسي. رأس كيمورا ورأسي، كانا للجسم نفسه و... وهذا الجسم بدا لي مضاعفاً.

26 آذار

اليوم أقابل كيمورا للمرة الثالثة بغياب زوجي. ومساء أمس كان في التوكونوما زجاجة كورفوازييه غير مفتوحة.

سألتُ توشي ـ كو: «هل أنتِ من اشتراها؟»، فأجابت بإشارة رفض: «أنا لا أعرف شيئاً عن الموضوع. فبعد أن عدتُ مساء أمس كانت الزجاجة موجودة. أعتقد أن كيمورا هو من جلبها». قال كيمورا: «لا، أنا لم آتِ بها. لا بدّ أنه الأستاذ بكل تأكيد. هذا رأيي. لقد أراد أن يمازحنا قليلاً». قالت توشي ـ كو: «يا لها مزحة من بابا!» وهكذا تخاصم الاثنان. كان من المحتمل جداً أن يكون زوجي قد لعب هذه اللعبة سراً. ولكني لم أكن لأفهم مقصده. أليست توشي ـ كو هي التي جلبت الزجاجة؟ أم هو كيمورا؟ لم يكن ذلك من المستحيل. فالسيدة الفرنسية التي تُسكِن توشي ـ كو عندها تذهب كل أربعاء وجمعة إلى أوساكا لتعطي دروسها، وهي تعود حوالى الساعة الحادية عشرة ليلاً. وفي هذه الأيام، عندما كنا نشرب الكونياك، استغلّت توشي ـ كو الوقت المناسب لكي تغيب. وقد فعلت الأمر نفسه مساء أمس. (هذه هي المرة الأولى التي أتحدّث فيها عن هذا، ولكن مخافة ألا ينخدع زوجي، أرى أن ذلك ضروري). عادت السيدة باكراً جداً. تكلّمت توشي ـ كو معها لبعض الوقت في البيت الرئيسي. لم أكن أعي الأمور جيداً، ولا أعرف ما حدث بعد ذلك. ولكن مهما كان سكري فإني أعتقد أني بقيتُ بصورة واضحة ضمن الحدود، ولم أملك الجرأة بعد على تجاوزها، وأعتقد أن كيمورا فكّر مثلي، إذ قال لي: «أنا الذي أعرتُ آلة تصوير البولارويد للأستاذ. وكنتُ أعرف أنه اعتاد أن يعرّيكِ بعد أن يُسكركِ. ولكن الأستاذ لم يكتفِ بالبولارويد، بل صوّركِ بالزيس ـ إيكون. ويبدو أنه كان يريد أن يعرف جسدكِ حتى في أدقّ تفصيلاته، ولكني أعتقد أنه في

النهاية، كان يريد أن يعذّبني تعذيباً فظيعاً. لقد كلّفني بتظهير الصور لكي يثيرني قدر الإمكان، وأعتقد أنه تلذّذ برؤيتي أتحمّل كل هذا دون أن أنحرف إلى الغواية. ليس هذا فحسب، بل لقد استمتع برؤية مشاعري تنعكس فيكِ، وأنكِ تتعذّبين بالطريقة نفسها التي أتعذّب بها. أنا أكره الأستاذ الذي يعذّبنا، أنتِ وأنا، بهذه الطريقة القاسية. ومع ذلك، فلن أخونه. إني أتعذّب لرؤيتكِ تتعذّبين، وأريد أن أمضي إلى عمق هذا العذاب».

قلتُ لكيمورا: «لا أعتقد أنها محضُ مصادفةٍ أن تكتشف توشي ـ كو الصور في الكتاب الفرنسي الذي استعارته منك. وقالت لي لا بدّ أن هناك تفسيراً ما لهذا. لماذا كانت الصور في هذا الكتاب؟» فأجابني كيمورا: «كنتُ آمل أن تقوم توشي ـ كو بإجراءات لها بعض الفعالية عندما تراها. وأنا لم أحدّثها قطّ عن هذا الموضوع لكي أحثّها على اتّخاذ إجراءات كهذه، فأنا أعرف طبيعتها الغيورة. وعندما تصرّفتُ بهذه الطريقة فقد كنتُ أتوقّع جلسةً تشبه جلسة مساء يوم 18. وما حصل يوم 23، وما يحصل هذا المساء، فإن توشي ـ كو هي من بادرت إليه. وأنا تصرّفتُ دون أن أقول شيئاً». قلتُ له: «هذه هي أول مرة يكون لنا فيها حديث بهذه الطبيعة، لأني لم أتحدّث قطّ بهذا الموضوع مع أيٍّ كان، حتى مع زوجي. وهو لا يريد أن يعرف شيئاً عن علاقاتي معك. لا بدّ أنه خاف من أمرٍ ما، وهو يريد أن يؤمن بإخلاصي حتى الآن. لا مجال للشك فيه، أليس كذلك؟ ما من أحد يستطيع الإجابة على هذا السؤال إلا أنت، أليس كذلك؟»، فأجابني كيمورا: «لا تشكّي في ذلك. لقد لمستُ أعضاء جسمكِ جميعاً، ماعدا واحداً مُهمّاً. لقد أراد الأستاذ أن يقرّب بيني وبينك لكي يكون ما بيننا أقل من سماكة ورقة، وقد أطعتُه ودنوتُ منكِ دون أن أتجاوز حدود الاحترام المفروض». قلت: «آه، لقد أرحتَني.

أشكركَ لأنك سمحتَ لي أن أبقى وفيةً. فقد سبق أن قلتَ لي إني أكره زوجي؛ نعم، ولكني في الوقت نفسه أحبّه، هذه هي الحقيقة: كلما كرهتُه كلّما أحببتُه. وهواه لا يتأجّج إلا عندما يضعكَ بيننا نحن الاثنين، ويعذّبك بهذه الطريقة؛ إذن عندما أفكر أنه يتصرّف في النهاية على هذا النحو لكي يمنحني الفرح فإن عدم وفائي له يتناقص شيئاً فشيئاً. ألا يمكننا أن نؤمن بما يلي يا كيمورا: زوجي وأنتَ جسدان في جسد واحد، وأنتَ أيضاً في هذا الشخص؛ وأنتما الاثنان لستما إلا واحداً...».

28 آذار

ذهبتُ إلى العيادة العينية في المشفى الجامعي لكي أفحص عينيّ. لم أكن أرغب في ذلك، ولكن الدكتور إيبا دفعني إليه بقوة، وذهبتُ بلا حماسة. قيل لي أن الدوارات التي تصيبني إنما تعود إلى تصلّب شرايين الدماغ الذي يسبّب احتقاناً في المخ، فتحدث دوارات وتضاعف في الرؤية واضطرابات في الوعي، وفي الحالات الخطرة يحدث غيابٌ في الوعي. وسألوني: «عندما تستيقظ ليلاً للتبوّل، وعندما تقوم بحركة عنيفة، وعندما تغيّر اتجاه جسمكَ فجأةً، ألا تشعر بالدوار؟» أجبتُ بأني أشعر بذلك بالفعل. إن فقدان التوازن ومقاربة السقوط أو الغوص في الأرض سببه تروية سيئة في الأذن الداخلية. وفي عيادة الطب العام فحصني الدكتور إيبا. حتى الآن لم أكن قد قست ضغطي الشرياني قطّ؛ واليوم قاس لي ضغطي، وأجرى تخطيطاً للقلب، وفحص لي كليتيّ. ثم قال لي: «لم أكن أعتقد أن ضغطكَ مرتفع إلى هذا الحد. يجب أن تنتبه جيداً». طلبتُ منه أرقاماً فرفض صراحةً. «على أية حال فإن الرقم الأعلى يتجاوز 200، والأدنى قريب من 200، وأن يكون الرقمان متقاربين فهذا هو الأمر الأقل

إرضاءً. لقد ابتلعتَ وأخذتَ عن طريق الحُقن كمياتٍ مفرطة من الهرمونات. وبدلاً من الأدوية التي تعيد بناء الكليتين، من الأفضل لك أن تتناول أدوية تخفّض الضغط. ثم سوف تعذرني إذ أقول لكَ إن عليكَ أن تكون أكثر انتباهاً فيما يخص ملذات السرير، وعليك أن تمتنع عن شرب الكحول، وعن تناول الأطباق المثيرة أو المالحة». ثم وصف لي الدكتور إيبا سلسلة طويلة من الأدوية: روتين سي، سربازيل، كاليكريين؛ وطلب مني ألا أتوقّف عن مراقبة ضغطي من الآن فصاعداً، وأن أقيسه بين وقتٍ وآخر.

إني أكتب هذه الأمور في مذكراتي خصيصاً لكي أرى كيف ستتصرّف زوجتي. أما الآن فأصطنع الصمم حول مطالب الطبيب. ستواصل الأمور سيرها حتى تُظهر زوجتي إشارةً ما. وبحسب ما أتوقّعه، حتى لو أن زوجتي قرأت هذه الفقرة، فإنها ستتظاهر بأنها لم تقرأها، وستكون أكثر تطلّباً. إنه قدر جسدها المرسوم. وفضلاً عن ذلك، بعد أن وصلتُ إلى هذه النقطة فإن من المستحيل بالنسبة إليّ أن أعود إلى الوراء. ومنذ مساء أمس صار موقف زوجتي أكثر جرأةً؛ فهي تستمتع بكل أنواع التقنيات التي تدفعني أكثر في الاتجاه نفسه... وفي هذه المناسبات هي لاتتخلّى عن صمتها، بل تطلق العنان لعواطفها بالحركات ودون أن تنبس بكلمة... إنها تبدو دائماً نصف مستيقظة، نصف نائمة، ولا حاجة لإطفاء النور. وسواءٌ أكانت سكرانة أو نائمة، لاأعرف كم تَحَفُّظها مغرٍ.

في البداية قرّبتُ كيمورا وزوجتي حتى مسافة معينة؛ وبعد ذلك اختفى الرضا الذي كنتُ أجنيه من هذا التقارب. فقلّصتُ شيئاً فشيئاً المسافة التي كانت تفصل بينهما، وكلّما فقلّصتُها كلّما تأجّجت غيرتي وكلما تعاظمت متعتي، وهكذا وصلتُ إلى غايتي النهائية. وهذا ما كانت تنتظره زوجتي، لا مسوّغ للتوقّف...

ها قد مرّت ثلاثة أشهر منذ شهر كانون الثاني. وأنا نفسي مندهش من المقاومة التي أبديتُها بقبولي هذه المباراة مع امرأة مريضة الحواس. أعتقد أن زوجتي ستفهم الآن إلى أي حد أحبّها. ولكن ماذا بعد؟ وكيف سأتمكّن من أن أُشبِع رغباتها أكثر من الآن؟ سوف تخبو إثارتي الحالية. لقد وضعتُهما في موقف بحيث أصبحت الخيانة أمراً لا بد منه. ولكني لا أشكّ في زوجتي. هل هناك من وسيلة أخرى لكي أقرّب بينهما أكثر دون أن أضع إخلاصها في خطر؟ سأفكّر في ذلك، ولكنهم سيكونون قد وجدوا شيئاً قبلي. عندما أقول: «هم» فإني أعني توشي ـ كو أيضاً.

قلتُ عن زوجتي إنها مخبّئة. ولكني، إذ أصفها بهذا الوصف، فإني لا أختلف عنها من هذه الناحية. ولا غرابةَ في أن يخرج من رجل كتوم وامرأة كتومة ابنة كتومة. ولكن الأكثر تخبئة بيننا جميعاً هو كيمورا. ولا يمكن إلا أن نُدهش من اجتماع هؤلاء الأربعة الذين يخبئون لعبتهم بهذه الطريقة. وهؤلاء الأربعة المجتمعون بالمصادفة المحضة يخدعون بعضهم بعضاً، ويبذلون جهودهم في الوصول إلى الهدف نفسه. باختصار، بما أن لكلٍ منهم أفكاره الخاصة، فقد اجتمع الأربعة وقاموا بكل ما يستطيعون لتحقيق هذا المشروع: إسقاط زوجتي.

30 آذار

أتت توشي ـ كو عصر اليوم تبحث عني لركوب تراموا ي أراشياما. ومن المفترض أن نجد كيمورا في الموقف الأخير. هي كانت صاحبة المشروع، في الواقع كانت فكرتها جيدة. كانت الكلية في عطلة، وكان كيمورا حراً. تنزّهنا على طول النهر. ثم ركبنا زورقاً إلى جوار أحد الفنادق. توقّفنا لنستريح

قرب جسر توغاتسو، ثم زرنا حديقة معبد تنريوجي. منذ زمن طويل لم أستنشق هواء الخارج النقي المفيد للصحة. أريد أن أقوم بهذا النوع من النزهات بين وقتٍ وآخر من الآن فصاعداً. فزوجي غارق في كتبه منذ شبابه، ومن النادر أن يصحبني إلى أماكن كهذه. في المساء سلكنا طريق العودة. وفي محطة هياكومامبن نزلنا نحن الثلاثة وافترقنا ليذهب كلٌ منا إلى بيته. اليوم أمضيتُ سويعات رائعة بحيث أني لم أعد راغبةً في فرش مائدة وشرب الكونياك ليلاً.

31 آذار

ليلة أمس نمتُ وزوجي دون أن نشرب الكونياك. وخلال الليل، أخرجتُ أظافر قدمي اليسرى خارج اللحاف، تحت النور الساطع للمصباح الفلوري. لاحظ زوجي ذلك فاندسّ سريعاً في سريري، ودون أن يلجأ إلى الكحول، وسابحاً في النور أتمّ عمله، وبأي نجاح! لقد بينّ هذا الفعل الإعجازي حالة انفعاله بوضوح.

سيدة سيكيدن ـ شو في عطلة هذه الفترة، مثل زوجي، وبصورةٍ عامة هي تلازم بيتها منذ الصباح. زوجي يخرج بانتظام ساعةً أو ساعتين كل يوم، ويتنزّه في الجوار ثم يعود. هل التنزّهُ هو هدفهُ الوحيد؟ أليس لديه من هدف آخر؟ أعتقد أنه يريد أن يعطيني الوقت لكي أقرأ مذكّراته خلسةً. وفي كل مرة يذهب قائلاً: «سأخرج قليلاً» ينمو لدي انطباعٌ بأنه يريد أن يضيف: «اقرئي مذكّراتي أثناء هذا الوقت». وكلما عهد بها إليّ كلما تقلّصت رغبتي في قراءتها. ومع ذلك ألا يجب عليَّ أنا أن أمنحه الفرصة لقراءة مذكّراتي؟

31 آذار

في الليلة الماضية منحتني زوجتي متعةً قصوى. لم تتظاهر بالنوم، ولم تطلب مني أن أُطفئ النور، وأخذت تثيرني بشتّى الطرق مظهرةً أعضاء جسدها الأكثر إثارةً، ودفعتني إلى القيام بما... لم أكن أشكّ في أنها كانت عارفةً بمثل هذه الممارسات العبقرية. ولا بدّ أن هناك تفسيراً لهذا التحوّل المفاجئ.

انتابني القلق لأن دواراتي صارت أكثر وضوحاً. ذهبتُ إلى الدكتور كوداما لكي يقيس لي ضغطي. ومرّ بصيص رعب على وجهه، وقال لي إن ضغطي مرتفع إلى درجة أنه يكاد يفجّر جهازه. كان عليّ أن أتخلّى عن كل انشغال، وأن ألجأ إلى راحةٍ تامة.

1 نيسان

أتت توشي ـ كو مع مدام كاواي. هذه المرأة تعطي دروساً في القَصّة الأوروبية، وتأخذ بالمقابل طلبيات لملابس نسائية. وبما أنها لا تدفع ضرائب على هذه الأعمال فإن أسعارها أقل بعشرين إلى ثلاثين بالمئة من أسعار المدينة. توشي ـ كو تتعامل معها باستمرار. وباستثناء الزي الموحَّد الذي كنتُ أرتديه في المدرسة فإني لم أرتدِ ملابس أوروبية قطّ. ذوقي متخلّف، ومقاساتي مخصّصة للأزياء اليابانية. وأنا لا أرى نفسي بثياب أوروبية في سني هذه. ولكن توشي ـ كو لا تكفّ عن الضغط عليّ لكي ألبس ثوباً منها من باب التجربة. وعلى أية حال فإن زوجي سيعلم ذلك جيداً، ولكني أشعر ببعض الحرج من ناحيته وطلبتُ إلى مدام كاواي أن تأتيني عصر هذا اليوم، إذ إنه يكون خارج المنزل بصورة عامة. تركتُ لتوشي ـ كو وللخيّاطة مهمة اختيار القماش والشكل. وبما أن ساقيّ مقوّستان قليلاً، فقد طلبتُ فقط

أن تكون التنوّرة طويلة قليلاً، وأن تصل إلى تحت الركبة بخمسة سنتيمترات. فقالت الخياطة: «ولكن ساقيكِ ليستا مقوّستين إلى هذا الحد، إن كثيراً من الأوروبيات مثلك تماماً» ثم أرتني عدة عيّنات من الأقمشة. سيكون أنسامبل من التويد الرمادي مع قميص بني وأحمر مقطّع إلى مربّعات، بحسب موديل موجود في مجلة مود إي ترافو modes et travaux. وقالت الاثنتان معاً: «خذي هذا» تستطيع الخياطة أن تنجزه بأقل من عشرة آلاف ين، ولكن عليّ أن أشتري أيضاً حذاءً وأكسسوارات مختلفة.

2 نيسان

خرجتُ عصراً وعدتُ في المساء.

3 نيسان

ذهبتُ في الساعة العاشرة إلى تي أش، محل الأحذية في كاوارا - ماشي. واشتريتُ زوج أحذية، وعدتُ حوالى المساء.

4 نيسان

خرجت عصر هذا اليوم وعدتُ مساءً.

5 نيسان

خرجتُ عصراً وعودة في المساء.

5 نيسان

تصرّف زوجتي يتغيّر من يوم إلى آخر. فهي تخرج عصرَ كل يومٍ تقريباً. (وأحياناً تذهب منذ الصباح). إنها تغيب خمس ساعاتٍ أو ستاً ثم تعود مساءً لكي تتعشّى. نتناول عشاءنا معاً. وهي لا ترغب في شرب الكونياك، وتبقى قنوعة بصورة عامة.

كيمورا في عطلةٍ الآن، وأعتقد أن هذا الأمر على علاقة بتغيّب زوجتي. لا أعرف إلى أين تذهب. هذا العصر ظهرت توشي ـ كو فجأةً وسألتني: «أين أمي؟» فأجبتُها: «إنها تخرج دائماً في مثل هذا الوقت. أليست عندكِ؟» أجابت: «إن أمي وكيمورا مختفيان تماماً. لا أعرف أين يمكنهما أن يذهبا» ثم لوت رأسها. لم يكن من السهل اكتشاف أنها شريكتهما...

6 نيسان

خروج في العصر، وعودة في المساء... في هذه الآونة أنا أخرج يومياً. وبصورة عامة عندما أخرج، يبقى زوجي في البيت. يغلق بابَ مكتبه على نفسه، ويجلس إلى طاولة عليها كتاب مفتوح، ويبدو وكأنه يقرأ. أنا واثقة من أنه بدءاً من ذهابي وحتى عودتي، وطوال عدة ساعات، ينهشه الفضول لكي يعرف إلى أين أذهب، ولا يفكّر بشيء آخر. لا أشكّ في أنه ينزل إلى الصالون في هذا الوقت ويفتح درج الصّوان ويُخرج منه مذكّراتي ليقرأها خلسةً. لسوء حظه لن يجد فيها ما يُعلِمه حول هذا الموضوع. لقد خبّأتُ عنه عمداً ما فعلتُه: «خروج عصراً، وعودة مساءً». ولم أكتب شيئاً آخر. قبل أن أخرج أصعد إلى الطابق الأول وأوارب شوجي المكتب وأقول: «سأخرج لبعض الوقت». أحييه باقتضاب ثم أنزل الدرج وكأني هاربة. أحياناً أقف في منتصف الدرج وأوجّه إليه كلمة. لا يلتفت إليّ أبداً، وأحياناً يقول لي: «حسنٌ» ويوافق بهزّةٍ من رأسه. وأحياناً أخرى لا يُجيب بشيء.

إذا كنتُ أخرج فذلك طبعاً ليس بقصد أن أمنحه الوقت لقراءة مذكراتي خلسةً. بل ذلك لأن لدي مواعيد مع كيمورا، وإذا

ما أردتم معرفة سبب ما أقوم به، فذلك لأني أريد أن أرى جسد كيمورا عارياً وألمسه، ليس كما كنتُ غارقة في بخار الكونياك، بل تحت أشعة الشمس الصحية. إني ألتقيه في بيت سيكيدن ـ شو عندما لا تكون توشي ـ كو ولا زوجي موجودين فيه؛ في اللحظات القصوى، عندما نكون متعانقين، ويكون جسدانا ملتصقين، أكون كالثملة ـ الميتة. كان السؤال الذي طرحتُه عندما كنتُ أكتب مذكّراتي في 30 كانون الثاني: «تُرى مَن أراه في الحلم، أليس هو كيمورا في الواقع؟» ثم في المقطع الذي كتبته في 19 آذار: «أعتقد أنه كيمورا، وهو زوجي، وعندما كنتُ أفكّر أنه زوجي، كان كيمورا؛ كم أودّ أن أرى جسده العاري بعينيّ، بعيداً عن حضور زوجي المزعج!». هذا الفضول لم يُشبَع بعد، ولكنه ما يزال يسكن قلبي، أرغب رغبةً جامحة في أن أتأمّل كيمورا حياً، وليس بوساطة زوجي الحتمية، وليس على نور المصباح الفلوري المائل للزرقة وفي حالة نصف واعية، بل أريد أن أراه في نور شمس الظهيرة.

كم سُعدتُ بهذه المفاجأة السارة! فهذا الكيمورا الذي لمحتُه مراراً في أحلامي منذ شهر كانون الثاني صار الآن واقعاً أمام ناظري. كتبتُ في مذكّراتي ذات يوم: «لقد لمستُ بيديّ هاتين لحم ذراعي كيمورا الفتي، وانحشرتُ بصدره المَرِن». «بشرة كيمورا بيضاء أكثر مما يمكن أن يتصوّره أحد. لقد تخيّلتُ أنها ليست بشرة رجل ياباني». كان كيمورا الذي كنتُ أراه تماماً مثل كيمورا الذي كنتُ أتخيّله. كان بوسعي أن أمسك بذراعيه الفتيتين، وأضغط بقوة صدري إلى صدره المرن. وكان بوسعي أن أضع جلدي على جلده ناصع البياض بالنسبة لياباني. إن من الغرابة بمكان أن تتطابق رؤاي مع الواقع تماماً! لا أظن من قبيل المصادفة أن تتشبه صورةُ أحلامي إلى هذا الحد. ألم يكن يسكن

في روحي قبل أن يولد، على أثر موعد ضُرب في الحياة السابقة؟ أو ألا يملك كيمورا قدرة يستمدّها من الآلهة تسمح له بأن يظهر لي في أحلامي؟ أنا مستعدّة لتخيّل ذلك.

بما أنني أفهم أن وجه كيمورا واقع غير مرتبك كما في أحلامي، فإني أميّز في زوجي وفي كيمورا كائنين مختلفين. وهذه الجُمل التي كتبتُها: «زوجي وكيمورا هما الشخص نفسه، وكل منهما موجود في هذا الشخص؛ والاثنان ليسا إلا واحداً». إني أمحوها تماماً. إن زوجي شخص هزيل يشبه كيمورا من بعيد ولكنه مختلف عنه في الواقع. كيمورا يبدو نحيلاً، ولكن عندما أراه عارياً يبدو صدره أعرض مما يُعتقد، وجسده ينضح عافية وقوة. وبالعكس، فإن زوجي طبيعته ضعيفة، ولدمه لون سيئ، وليس لجلده أية مرونة. جلد كيمورا يُظهر لمعاناً أحمر تحت البياض السطحي، ويظهر بعض الشحوم، في حين أن جلد زوجي الرمادي له جفاف المعدن. ومظهره اللامع ما عدتُ أطيقه. حتى الآن كنتُ أشعر نحو زوجي بنصف مقت ونصف حب، ولكني أرى المقت يتنامى يوماً بعد يوم...

لدي زوج لا يوافق طبيعتي، زوج أكرهه. آه، لو كان كيمورا في مكانه! تلك هي الأفكار التي تجعلني أتنهّد مرات عديدة يومياً.

وأنا عند هذه النقطة، إذا ما أكّدتُ أني لم أتجاوز حدّي الأخير، فهل سيصدّقني زوجي؟ سواءٌ أصدّقني أم لم يصدّقني، فتلك هي الحقيقة. وعندما أقول الحد الأخير، فإني أعطي هذه الكلمة معنًى أكثر دقّةً: إنه حقاً الأخير، ولقد قمنا بكل شيء دون أن أتجاوزه. وهذا يعود بلا شك إلى التقاليد الصارمة التي رسّختها في رأسي تربيةُ أبويّ في أسرةٍ إقطاعية؛ تقاليد بموجبها يبقى الشرف سليماً مهما كانت الإجراءات العقلية، ما

دام الإنسان لم ينم مع شخص بالطريقة «الأرثوذوكسية» كما اعتاد زوجي أن يقول. إذن، مع احترام حَرفية التقاليد، سمحتُ لنفسي بالقيام بكل ما تبقّى. وإذا ما طُلب مني أن أفسّر ذلك بكلمات واضحة فسأكون منزعجةً جداً...

8 نيسان

حين ذهبتُ هذا العصر لكي أتنزّه، مررتُ بكاوارا ـ ماشي، في الجزء الجنوبي من شيجو، ونظرتُ من الجهة الغربية. وبعد أن مشيت بضع مئات من الأمتار بعد محل فوجيي ـ ديمارو، التقيتُ بزوجتي. كانت خارجةً من أحد المحلات بعد أن اشترت منه بعض الحاجات ومشت أمامي على الرصيف على مسافةٍ تقارب الخمسة عشر متراً، في الاتّجاه نفسه، مُديرةً لي ظهرها. نظرتُ إلى ساعتي فكانت الرابعة والنصف. وحسب الساعة فإنها كانت عائدة إلى البيت، ومع ذلك فقد كانت تتجه غرباً. من المؤكّد أنها رأتني أولاً، وكانت تريد أن تتجنّبني. أنا أتنزّه بصورة عامة من جهة الهضاب الشرقية، وقلّما آتي إلى شيجو. لابدّ أنها فوجئت لرؤيتي في هذا المكان. حثثتُ الخطى لكي أقصّر المسافة بيننا، ورحتُ أتبعها على بعد عدة خطوات. ولمّا لم أنبس بكلمة فإنها لم تلتفت نحوي. وتابعنا نحن الاثنين طرقنا محافظَين على المسافة عينها. ترى ماذا اشترت؟ مررتُ من جديد من أمام المحل الذي خرجت منه، وكان فيه أكسسوارات لملابس النساء، ودانتيلا وقفازات من النايلون، وكافة أنواع الأقراط والقلادات. إلام تحتاج زوجتي في مثل هذه المحلات؟ وهي التي لا ترتدي أبداً ملابس أوروبية. هذا ما كنتُ أتساءله عندما صُدمت عيناي فجأةً: فمن أذنَيْ زوجتي كانت تتدلّى

حليتان. منذ متى راق لزوجتي أن تضع مثل هذه الأشياء مع ثياب يابانية؟ هل اشترتها للتو، وسارَعَت إلى وضعها؟ وهل كانت تضعها بين وقتٍ وآخر حينما لا أكون موجوداً؟ منذ الشهر الماضي وأنا ألاحظ أنها ترتدي غالباً شا - هاوري كما يسمّى المعطف القصير. واليوم أيضاً ها هي ترتديه. حتى اليوم كانت تستمتع بارتداء ملابسها تماشياً مع الموضة القديمة، وتقول إنها لا تريد أن تتبع الموضات الجديدة. ولكن يجب أن أعترف أنها تليق بها جيداً، وبخاصة اللآلئ في أذنيها، فهي تناسبها أكثر مما كنتُ أتوقّع. أذكر أني قرأتُ في أحد كتب أكوتاغوا ريونوسوكي(*) أن مؤخرة أذني النساء الصينيات لها بياض عجيب. وإذا ما نُظر إلى أُذُنَي زوجتي من الخلف فإن بياضهن ناصع هما أيضاً. ويبدو الهواء المحيط بهما أكثر نقاءً.

اللآلئ والشحمتان تسهم في إحداث تأثير جميل، ولكن لا بد أن زوجتي لم تتخذ بمفردها فكرة وضع هذه اللآلئ في أذنيها. هذا ما فكّرتُ به وأنا أتجرّع كالعادة مزيجاً من الغيرة والفرح. وبما أني لستُ مَن تمكّن من جعل زوجتي تكتشف هذا الجمال الغريب، فمن المؤسف أن يكون رجل آخر قد قام بذلك بدلاً مني. زوج ليس لديه من رغبة سوى أن يرى في خياله المعتاد المرأةَ التي اعتاد أن يعيش معها ربما كان أقل انتباهاً من رجل آخر إلى هذه الأمور.

اجتازت زوجتي شارع كاراسومارو وتابعت طريقها بخط مستقيم. كانت تحمل في يدها اليسرى محفظة يدها وعلبةً طويلة ومسطّحة ومغلّفة بورق عليه علامة المحل المذكور. لم أكن

(*) أحد أشهر روائيي اليابان الحديثة (1892 - 1927)

أعرف ما يمكن أن تحويه. وفي نيشينودوين غيّرتُ الرصيف وتعمّدتُ أن ألحق بها لكي تراني ولكي تفهم أني لا ألاحقها. ركبتُ الترامواي في شيجو هوريكاموا وعدتُ إلى البيت.

بعد ما يقارب الساعة من عودتي، عادت زوجتي، ولم تعد اللآلئ تتدلّى من أذنيها. ربما وضعتها في محفظتها. فقد كانت تحمل العلبة التي تحوي مشترياتها، ولكنها لم تفتحها أمامي.

10 نيسان

تُرى هل لمّح زوجي في مذكراته إلى ملاحظةٍ تتعلّق بحالته الصحية المُقلقة؟ إلى أي حدٍّ باله منشغل برأسه، وبجسمه؟ بما أني لا أقرأ مذكراته، لا يمكنني أن أضع فرضيات بهذا الشأن؛ ومع ذلك، منذ شهرٍ أو شهرين، لاحظتُ تغيّرات في نمط حياته. لم يكن لون بشرته مزهراً قطّ، ولكن في الآونة الأخيرة صار لون وجهه بلون التراب، وغالباً ما يترنّح وهو صاعد الدرج أو نازله. في الماضي كانت ذاكرته ممتازة، والآن يعاني من فقدان كبير لذاكرته. فعندما أراه يتّصل هاتفياً ببعض الأشخاص لايتذكّر أسماءهم وتضطرب المكالمة. وعندما يمشي في الغرفة يتوقّف فجأةً ويغمض عينيه ويتمسّك بأحد الأعمدة. ولكي يكتب رسائل معتنى بها يستخدم لفة ورق وريشة، والآن صارت كتابته أقل مهارة، (عادةً كلما شاخ المرء كلما صار خطّه أجمل). إنه يخطئ ببعض الأحرف، وينسى أحرفاً أخرى. لا أرى إلا العناوين على الأغلفة، ولكن هناك دائماً أخطاء في التواريخ والأرقام. إنه يرتكب أخطاء غريبة جداً، فيكتب تشرين الأول بدلاً من آذار، ويكتب رقمَ بيتنا بطريقة بائسة جداً. وعلى رسالة موجّهة إلى عمّه كتب اسمه الأول بأحرف غير صحيحة، وهذا ما

جعلني في قمة استغرابي. والأدهى من ذلك أنه بعد أن كتب «حزيران» بدلاً من أن يكتب «نيسان»، صحّح فكتب تشرين الأول. وعندما يكتب تواريخ وأرقام منازل، فإني أصحّح الأخطاء الفاضحة قبل أن أضع الرسائل في البريد. ولكن بشأن اسم عمّه احترتُ فيما أفعل. لفتُّ انتباهه إلى هذه النقطة بطريقة بريئة، فبدا مرتبكاً ولكنه قال لي بهدوء: «نعم، هذا جيد». وبدلاً من أن يُجري التصحيح، وضع الرسالة على الطاولة. ما أزال أتصفّح مضامين الأغلفة، ولكني لا أستطيع أن أرى الأخطاء في نصوص الرسائل نفسها. عقله تغيّر، ومن المحتمل أن تكون شائعةٌ قد سرت في أوساط أصدقائه ومعارفه. ليس لديّ من أستطيع أن أفاتحه بالأمر. منذ عدة أيام ذهبتُ لمقابلة الأستاذ كوداما، ورجوتُه أن يفحص زوجي فحصاً كاملاً، فقال لي: «كنتُ أودّ أن أراكِ من أجل هذا الموضوع». كان رأيه أن زوجي قلق. يبدو أنه فحص نفسه على يد الدكتور إيبا فأرعبه إلى درجة أنه لم يعد إليه وراجع الدكتور كوداما. وهذا الأخير ليس اختصاصياً، فما يقوله ليس واضحاً. ومع ذلك قال لي: «ضغطه الشرياني مرتفع جداً لدرجة أنه أثار استغرابي». فسألته: «إلى أي رقم يصل؟» فأجاب متردّداً: «لا أعرف إن كنتُ أستطيع أن أقول لكِ. عندما أردتُ أن أقيس ضغط زوجك تجاوز مؤشّر الجهاز الحد الأقصى. خشيتُ أن أتلفه فأوقفت القياس، لذا أنا لا أستطيع أن أعطيكِ رقماً». «هل زوجي على علم بذلك؟» «لقد حذّره الدكتور إيبا مرتين أو ثلاثاً، ولكن يبدو أنّه لم يصغِ إلى تحذيره. لذا فإني لم أخبئ عنه أن حاله في منتهى السوء». (بما أن الدكتور كوداما وجّه إليه هذا التحذير، أعتقد أن لا مانع في أن يقرأ زوجي هذا). وإذا كان زوجي قد وقع في هذه الحالة فلا أستطيع أن أنفي أني أتحمّل جزءاً كبيراً من المسؤولية. ولو أني لم أُبدِ

هذه المتطلّبات التي لا يمكن إشباعها، ربما لما انتهى إلى هذه الحياة المتدهورة. (عندما تكلّمتُ في هذا الأمر مع الأستاذ كوداما اعتراني خجلٌ شديد، ولكن لحسن الحظ أن الدكتور لايعرف شيئاً عن علاقاتنا الزوجية. اقتنع أني سلبية من البداية إلى النهاية، وأن زوجي هو من يأخذ زمام المبادرة دائماً. بمعنى آخر، وبكل بساطة، إن مزاج زوجي غير المعتدل هو السبب في حالته هذه). بوسع زوجي أن يقول إن كل ما فعله ليس له من غاية إلا أن يرضي زوجته. لن أخالفه الرأي، ولكني سأضيف أني تصرّفتُ في المراحل كافة تصرّفَ زوجةٍ مخلصة، وأني تحمّلتُ أموراً صعبةً جداً لكي أؤمّن متعته. وكما قالت لي توشي ـ كو: «أنتِ مثال النساء المخلصات يا أمي!» هذا يتعلّق بوجهة النظر حيث يقف المرء ولكني أعتقد أن هذه هي الحقيقة. ومهما يكن من أمر، لا فائدة من أن يلقي كلٌّ منا التبعة على الآخر، وأن يسعى لمعرفة من المخطئ ومن المصيب. في النهاية، أنا وزوجي، يثير كلٌّ منا الآخر ويحرّضه، ولقد بدّدنا طاقاتنا بلا جدوى، مدفوعين بقوةٍ قدرية، كما في حلم، حتى وصلنا إلى هنا.

ألا يجب عليّ أن أكتب: لستُ أدري أي أثر سيُحدث هذا عند زوجي إذا قرأه. ليس هناك إلا زوجي الذي يجد نفسه في حالة صحية حرجة. أعتقد أن بوسعي أن أقول إني في الموقف نفسه تقريباً. ولقد وصلتُ إلى هذه القناعة منذ نهاية شهر كانون الثاني. عندما كانت توشي ـ كو في العاشرة من عمرها، تعرّضت مرتين أو ثلاثاً لبصق الدم، وقيل لي آنذاك إن لدي سلاً رئوياً تشير أعراضه أنه وصل إلى الدرجة الثانية. ودعاني الطبيب إلى الانتباه، ولكن بخلاف أي توقّع، شفيت بصورة طبيعية تماماً. وهذه المرة أيضاً لم أقلق كثيراً. في المرة الماضية لم أستمع

لنصيحة الطبيب وأهملتُ صحتي كثيراً. لم يكن ذلك من باب الاحتقار للموت، بل إن رغبتي المفرطة لم تترك لي وقتاً للتفكير. أغمضتُ عينيّ أمام الخوف من الموت وتركتُ جسدي يستمتع. وزوجي نفسه استغرب جرأتي، ولكنه انساق مع أنه كان يخشى الأسوأ. لو لم يحالفني الحظ لمتُّ. وأنا لا أعرف لماذا شفيتُ على الرغم من إفراطي كله.

في نهاية شهر كانون الثاني انتابني نوع من الاستشعار، وأحسستُ بوخز مزعج في صدري، ثم أحسستُ بالفتور. وجدتُ ذلك غريباً لأني رأيتُ في أحد أيام شباط على شفتيّ زبداً مشوباً بخيوط من الدم، كما في المرة السابقة تماماً. الآن يبدو ذلك قد زال مؤقتاً، ولكن لا أعرف حتى كم من الوقت. أنا أحسّ بالتعب، وتُحرقني راحتا يديّ ووجهي بطريقة غريبة؛ لا بدّ أني محمومة، ولكني لا أقيس حرارتي (لقد قستها مرةً، وكانت 37,6 درجة، ولم أُعدها). ولا أريد أن أُفحص. وأتعرّق ليلاً باستمرار، ويجب عليّ ألا أنام على أذنيّ، وأنا أستهين بالأمور بحجة أن ما أشعر به في هذه اللحظة ليس خطراً بدلالة تجاربي السابقة. من حسن حظي أن معدتي جيدة، كما قال لي أحد الأطباء سابقاً: «في هذا المرض من الشائع أن ينحف المريض، ومن المستغرب أن تكوني قد احتفظتِ بشهيتك». الجديد الآن هو أني أشعر بألم حاد في صدري بين وقتٍ وآخر، وأني أشعر بالتعب كل يوم عصراً. (ولكي أقاوم هذا الإحساس بالتعب وجب عليّ الاتصال بكيمورا. فقد كان ضرورياً جداً بالنسبة إليّ لكي أنسى تعبي اليومي). في السابق لم أكن أشعر قطّ بهذا الألم في صدري، ولا بهذا التعب. من المحتمل أن تكون صحتي قد ساءت شيئاً فشيئاً، وأنه لم يعد هناك من أمل. وأخشى أن يكون سبب هذا الألم في الصدر مرضاً خطراً. ثم إني أرتكب من الإهمال أكثر من الماضي. وقد سمعتهم

يقولون إن الإفراط في تناول الكحول في هذا المرض ضار جداً. وعندما أفكّر بكمية الكونياك التي شربتُها منذ شهر كانون الثاني، فإنها لمعجزة ألا يكون المرض قد تفاقم.

13 نيسان

كنت أظن أن ساعات خروج زوجتي سوف تتغيّر بدءاً من أمس. وهكذا كان. لقد عادت دروس كيمورا فصارت اللقاءات في النهار مستحيلة. بينما كانت تخرج في السابق منذ ساعة مبكرة في العصر، منذ يوم أو يومين كنتُ أظن أنها ستبقى هادئة، ولكن أمس حوالى الساعة السابعة عشرة وصلت توشي ـ كو. وكما لو أن الأمر كان محضَّراً مسبقاً، نهضت زوجتي، وبدت وكأنها تستعد. كنتُ في الطابق الأول، ولكني فهمتُ مباشرةً. صعدت، وقالت لي وقد بقيت وراء الشوجي: «أنا خارجة؛ وسأعود حالاً». وكالعادة أجبت: «حسن». فأضافت وهي تنزل الدرج: «توشي ـ كو هنا، فإذا أحببت، تعشَّ معها». سألتها بمزاج سيئ: «وأنتِ؟» فأجابت: «سوف أتعشّى بعد أن أعود، ولكن إذا أردتَ أن تنتظرني فسنتعشّى معاً». أجبتُ: «سأتعشّى قبل أن تعودي، يمكنكِ أن تتعشّي في الخارج. لا تستعجلي فأنا ليس لديّ مانع». وفجأةً، رغبتُ في أن أرى ماذا تلبس. وبلا تفكير خرجتُ إلى سفرة الدرج ونظرتُ إلى الأسفل، وكانت قد نزلت. كانت قد وضعت في أذنيها لآلئ الأمس حتى قبل أن تغادر المنزل. (ربما لم تتوقّع أن أخرج إلى السفرة). ويدها اليسرى مقفّزة بقفاز من الدانتيلا الأبيض، وتتأهّب لتقفيز اليد اليمنى. فوجئت لرؤيتي وانزعجت. لكن توشي ـ كو قالت لها: «هذا يناسبك تماماً يا أمي».

بعد الساعة السادسة والنصف بقليل أخبرتني الخادمة العجوز أن العشاء جاهز. نزلتُ إلى الصالون، وكانت توشي ـ كو تنتظرني هناك. بادرتُها: «أما تزالين هنا؟ إذا كان بقاؤك من أجل العشاء، فأنتِ تعرفين أني أستطيع أن أتعشّى بمفردي». فأجابت: «قالت لي أمي أن بوسعي أن أشاركك ولو مرة واحدة». افترضتُ أنها تريد أن تقول لي أمراً ما، إذ قلّما حصل أن تناولتُ طعامي بمفردي مع توشي ـ كو، فمن النادر أن أتعشّى من دون زوجتي. وفي هذه الآونة، حيث صارت تخرج كثيراً، فإنها تكون في البيت حين موعد العشاء. فهي تغادر البيتَ عموماً إما قبل العشاء أو بعده. لهذا السبب شعرتُ بالفراغ وبالوحدة. ومن النادر أن ينتابني هذا الانطباع. ووجود توشي ـ كو يزيد من هذا الشعور بالفراغ. ففي الواقع كانت رفقتها مضجرة. أما من ناحيتها هي فربما كان ذلك محسوباً.

عندما جلسنا إلى الطاولة، بادرتني قائلة: «بابا، هل تعرف إلى أين ذهبت أمي؟» «لا أعرف، ولا أريد أن أعرف». «إنها في أوساكا!» ألقت هذه الكلمات ثم انتظرت ردة فعلي. قلتُ بلا وعي، ودون أن أتمكّن من التحكّم بكلامي: «في أوساكا!»، ولكني أضفتُ بطريقة أردتُها أن تكون غير مبالية: «نعم، هذا ممكن!» فقالت: «قطار كيوتو ـ أوساكا السريع يمكنه أن ينقلك من محطة سانجو في كيوتو إلى محطة كيوباشي في أوساكا خلال أربعين دقيقة، ومن هناك إلى هذا البيت خمس إلى ست دقائق مشياً». ثم أضافت وهي تسألني: «هل يمكنني أن أقول أكثر؟» وبما أنها كانت مستعدة لمواصلة الكلام إن سكتُّ، فقد قلتُ لها: «لا أريد أن أسمع كلاماً كهذا، من أين عرفتِ بذلك؟» وأردتُ أن أغيّر دفة الحديث. لكنها قالت: «أنا من دلّها على هذا المكان المناسب. وكان كيمورا قد قال لي: «في كيوتو نُرى بسهولة. ألا يوجد

مكان آخر غير بعيد عن كيوتو؟» فسألتُ إحدى زميلاتي وهي (*)après guerre جداً وخبيرة في مثل هذه الأمور، فأخبرته».

قالت: «قليلاً يا بابا!» ثم سكبت لي الكورفوازييه. لم نشرب الكونياك في الآونة الأخيرة، ولكن مساء أمس وضعته توشي ـ كو على الطاولة. شربتُ منه جرعةً لكي أخفي اضطرابي. قالت توشي ـ كو: «يبدو أني أتدخّل فيما لا يعنيني، ولكن ما رأيكَ في هذا يا بابا؟» أجبتها: «ما رأيي... ماذا أقول؟» أردفت: «أما زلتَ تثق بماما عندما تقول لكَ إنها، حتى الآن، لا تخدعك؟» «وهل تناقشتِ في هذه الأمور مع أمك؟» «لم تقل لي أمي شيئاً، بل كيمورا هو من حدّثني بذلك. قال لي إن أمي ما تزال مخلصةً لكَ، ولكني لم أصدّق هذه الترّهات». ثم ملأت كأسي بالشيري فأفرغتُه بلا تردّد، ورغبتُ في أن أشرب المزيد.

«صدّقي ذلك أو لا تصدّقيه، فهذا شأنكِ». «وأنتَ يا بابا؟» «أنا أثق بإيكو ـ كو طبعاً، حتى لو قيل لي إن كيمورا لطّخ شرفها فلن أصدّق ذلك. إن إيكو ـ كو زوجة لا يمكنها أن تخدعني». قالت توشي ـ كو وهي تحبس ضحكةً مخنوقة: «أوه، أوه! ومع ذلك، حتى لو قبلنا أنها ليست ملطّخة الشرف، فثمة متع أقذر من تلطيخ الشرف...» فصرختُ بها حانقاً: «هلا صمتِّ ياتوشي ـ كو! وكفّي عن التفوّه بهذه الوقاحات عندما تتحدّثين عن أبويكِ. ثمة أشياء لا يمكن قولها، وأخرى لا يجوز قولها، أنتِ من تتحدّثين بهذه الطريقة، فأنتِ après guerre وأنتِ إحدى هذه القذارات. أنا لستُ بحاجةٍ إليكِ. انصرفي بسرعة!» «أنا ذاهبة».

(*) كلمتان فرنسيتان غالباً ما يختصرهما اليابانيون إلى après، وهما تعنيان الأشخاص الفاسقين.

ثم صبّت دفعةً واحدةً في علبة الأرز الدورقَ الذي ملأته للتو، ومضت.

الصفعة التي وجّهتها توشي ـ كو إليّ لم تهدأ بسرعة. فعندما قالت لي توشي ـ كو: «إنها في أوساكا!» أحسستُ بغصَّةٍ في قلبي، ودام هذا الانطباع إلى ما لا نهاية. ومع ذلك لا يمكنني أن أقول إني لم أُعطِ أيَّ افتراض حول هذا الموضوع، ولكني أجهدتُ نفسي في ألا أفكّر فيه. ولمّا علمتُ فجأةً أن الأمر جليّ، أعتقد أني لم أستطع أن أخفي ارتعاشاً ألمّ بي.

كان أمراً جديداً عليّ أن يحدث ذلك في أوساكا. في أي بيت؟ هل في فندق عادي؟ أم في بيت مواعيد؟ أم في فندق سيئ السمعة؟ حاولتُ كثيراً ألا أفكّر في الأمر، ولكن شكل البيت وجو الغرفة وخيال الشخصين النائمين معاً لم تفارق تفكيري. لقد سألتُ إحدى صديقاتي، وكانت «après guerre» ماذا يمكن أن يكون هذا؟ تخيّلتُ غرفةً ذات أربعة جدران رقيقة في بيت حديث رخيص، وشكلين متعانقَين، ليس على هذا الحصير، بل في سرير أوروبي. أمر غريب، ولكني كنتُ أفضّل أن أتخيّلهما نائمين على فوتونات(*) موضوعة في غرفة مفروشة بالحصر.

«بطريقة ليس فيها شيء طبيعي...» «ومتع أقذر من تلطيخ الشرف...» فكّرتُ بأنواع الوضعيات كافة، وكل أوضاع اليدين والقدمين...

تُرى لماذا فاجأتني توشي ـ كو بهذه الفكرة؟ هل فعلت ذلك من تلقاء نفسها، أم إن إيكو ـ كو هي من دفعتها؟ كانت هذه الأسئلة تغلي في رأسي. لستُ أدري إن كانت إيكو ـ كو قد كتبت

(*) الفوتون هو فراش رقيق وناعم يُفرش فوق الحصير ويُستخدَم كسرير.

شيئاً حول هذا الموضوع في مذكّراتها، ولكن حتى لو كتبته فإنها تخشى ألا أقرأه (أو أن أتظاهر بعدم قراءته)، إذن ألم تستخدم توشي ـ كو لكي تجعلني أبتلع ذلك، بإرادتي أو بعدمها؟ والأمر الأهم، والذي بات يشغلني أكثر هو هذا: «ألم تمنح أيكو ـ كو نفسَها كلّياً لكيمورا، فاتّخذت توشي ـ كو وسيطة لكي تُفهمني ذلك؟ «ولكني لا أصدّق هذه الترّهات...» أليست أيكو ـ كو هي التي لقّنت هذا الكلام لتوشي ـ كو؟ وعندما كتبتُ في مذكّراتي «إني أعرف أن لها فرجاً قلّ نظيره عند النساء »، كان ذلك خطأً، وكان من الأفضل لي ألا أكتب هذا الكلام. تُرى كم من الوقت قاومَتْ فضولَ تجريب هذه الخصال الجسدية مع رجل غير زوجها؟

إن أحد الأسباب الذي حدا بي ألا أشكّ في إخلاصها لي حتى الآن هو أنها لم ترفضني في أي ظرف. حتى في الأيام التي التقت به بصورة مؤكّدة، لم تتجنّب مرةً واحدةً طلباتي، بل على العكس: كانت تثيرني.

فكّرتُ أن هذا دليل إضافي على أن شيئاً لم يحدث بين زوجتي وبينه. ربما كان ذلك صحيحاً مع امرأة أخرى، ولكن يجب أن يكون لإيكو ـ كو بنية قوية لكي تتكرّر لعبتُها في العصر مساءً، وهذا ليس في يومٍ واحد، بل طوال أيام. أن تمنح نفسها لرجلٍ تكرهه بعد أن تكونَ مع رجل تحبّه لَتَعذيبٌ لا طاقة لها به؛ ولكن زوجتي استثناء. إذا كانت ترفضني في فكرها فإن جسدها لا يستطيع أن يرفضني؛ ولحظة رفضي، لا تستطيع أن تتغلّب على الإغواء، بل على العكس، إنها تسابق اللذة. إنه العمل الأخفّ للنساء الخفيفات، ولم أرَ منهن بعد.

كانت الساعة التاسعة مساءً عندما عادت زوجتي. وعندما

ذهبتُ إلى غرفة النوم كانت في السرير. لم أستطع الامتناع عن استغراب أن تكون امرأةٌ جاهزةً أكثر من أي وقتٍ مضى. انتابتني سلبية كاملة. فموقفها وتصرّفاتها كانت بلا أخطاء؛ وكانت طريقتها في إغداق مداعباتها لا غبار عليها. أسكرتني دغدغاتها، والتحكم الذي قادتنا به إلى النشوات المتكرّرة، كل ذلك كان يثبت أنها كانت مندمجة كلياً في حركاتها.

15 نيسان

أشعر أن دماغي لم يعد يعمل. فقد كرّستُ نفسي كلّياً لإمتاع زوجتي منذ شهر كانون الثاني. وفقدتُ كل اهتمام بكل ما لا يتعلّق بحواسي دون أن أدرك ذلك. وتعطّلت كلياً ملكةُ التفكير في أي شيءٍ آخر. ولم أعد أتحمّل التفكير في موضوعٍ واحد أكثر من خمس دقائق... ليس في رأسي إلا هذا الجنوحِ الدائم: أن أنام مع زوجتي. منذ طفولتي لم أكفّ عن المطالعة، وفي جميعِ الظروف: أما اليوم فإني أمضي أيامي دون أن أقرأ سطراً واحداً. وبحكم العادة أبقى جالساً أمام طاولتي دون أن أفعل شيئاً. عيناي تتيهان على كتابي دون أن أرى شيئاً. في البداية كان بصري يزوغ، ما جعل القراءة صعبة. وصارت الأحرف تبدو مكرّرةً، فكنتُ أقرأ السطر نفسه إلى ما لا نهاية. والآن، أنا كائن لا يعيش إلا من أجل الليل، ولا يفكّر إلى بإطفاء نار زوجته؛ أنا لستُ قادراً على شيءٍ آخر. في النهار، عندما أغلق باب مكتبي عليّ ينتابني تعبٌ غلاب متزامناً مع قلق لا يوصف. وعندما أخرج للتنزّه، أنسى هذا القلق، ولكن صارت النزهة شاقةً أكثر فأكثر. وصارت دواراتي تتكرّر بحيث أنها تؤثّر على مشيتي. وأنا أخشى دائماً أن أسقط وسط الشارع، وحتى إن خرجتُ فإني لا أبتعد كثيراً، وأرتاد قدر الإمكان الأماكن الأقل

ارتياداً: هياكومانبن وكوروداني وإيكاندو، حيث أذهب مستنداً إلى عصاي وأجلس على أحد المقاعد لقتل الوقت (صارت ساقاي ضعيفتين، وصرتُ أتعب إذا ما أطَلْتُ النزهة).

عندما عدتُ اليوم كانت زوجتي في الصالون تتحدّث مع مدام كاواي، خيّاطة الملابس الأوروبية. كنتُ على وشك الدخول إلى الصالون لكَي أشرب الشاي عندما قالت لي زوجتي: «لا تدخل الآن. هل تريد أن تذهب أولاً؟».

حاولتُ أن أنظر، وكانت زوجتي تجرّب بدلةً أوروبية. وبما أنها قالت لي: «اذهب أولاً»، صعدتُ إلى مكتبي. ثم قالت زوجتي من أسفل الدرج: «سأخرج قليلاً». بدت ذاهبةً مع مدام كاواي. من نافذتي رأيتُ السيدتين في الشارع. وكانت تلك أول مرةً أرى فيها زوجتي بملابس أوروبية. إذن في الآونة الأخيرة عندما أخذت تضع الأكسسوارات على الملابس اليابانية، فقد كان ذلك تدرّباً قبل أن تلبس بدلتها. لأقل الصراحة: من الصعب عليّ أن أقول إن الملابس الأوروبية تناسبها. ومقارنةً بمدام كاواي ذات النصف العلوي القصير والمشوّه، بدت زوجتي ذات القامة الأنيقة ترتدي ثياباً جيدة، ومع ذلك فإنها تعطي الانطباع بأن هذه الثياب لا تناسبها. لقد اعتادت الخيّاطة مدام كاواي أن تلبس ثياباً أوروبية، وهي تلبسها بفن. ولكن على الرغم من أقراط زوجتي وقفازاتها المصنوعة من الدانتيلا، فإنها لا تبدو جميلةً إلا بالملابس اليابانية. إن الانطباع بالغرابة الذي تثيره أكسسواراتها مع الكيمونو كانت ضائعةً تماماً مع الثياب الأوروبية. وكانت الملابس والجسم والأكسسوارات تعطي كلها انطباعاً بعدم الانسجام. في هذه الأيام، تقتضي الموضة ارتداءَ الملابس اليابانية كما تُرتدى الملابس الأوروبية، ولكن زوجتي،

بالعكس، فإنها ترتدي الملابس الأوروبية كما ترتدي الكيمونو. وتحت القَصة الأوروبية أستشفّ جسماً مصنوعاً للملابس اليابانية. كتفاها متهدّلتان جداً، وساقاها نحيلتان وجميلتنا الشكل، ولكن الخط الذي ينطلق من الركبة إلى الكعب مقوّس نحو الخارج. وبما أن قدميها ليستا معتادتين على الحذاء فقد كان عقباها منتفخين عند التقاء عنق القدم مع الساق. وسأضيف أن مشيتها وموضع يديها وحركة قدميها، ووضعية الرأس والكتفين بالنسبة إلى نصفها الأعلى، كل هذا يناسب الثياب اليابانية تماماً. حقاً أجد سحراً كبيراً في هذا الجسم ذيٍ اللمسات الناعمة، وفي هاتين الساقين المقوّستين تقوّساً طبيعياً. لم تكن هذه الصفات تصدمني عندما كانت ترتدي ملابسها على الطريقة اليابانية. افتُتنَتْ عينايَّ بجمال القوس الواصل بين أسفل التنورة والعقبين، وأنا أرى جسم زوجتي يبتعد، وفكّرتُ بالليلة التي ستأتي.

16 نيسان

في الصباح ذهبت لأشتري بعض الحاجات من ناكا نيشيكي. لقد أهملتُ لزمن طويل الذهابَ لشراء حاجات المطبخ، كعادتي من قبل؛ وكنتُ قد تركت مهمة ذلك لبايا. شعرتُ بأني صرتُ زوجةً مهمِلةً جداً لزوجها، فقرّرت أن أخرج، بعد كل هذا الزمن الطويل. (في الواقع، كنتُ منشغلة بأمور أهم من التموين، ووجدتُني مهتمّةً بإشباع رغبات زوجي، ولم يكن يبقى لي كثيرٌ من الوقت لأذهب إلى نيشيكي). ذهبتُ إلى مموِّننا المعتاد واشتريت شتلات بامبو وفولاً وحمصاً وكثيراً من الأشياء الأخرى.

حين اشتريتُ شتلات البامبو خطر ببالي أن موسم أشجار الكرز المزهِرة قد ولّى هذه السنة دون أن أتنبّه له. أذكر أننا تنزّهنا في العام الماضي على شاطئ القناة مع توشي ـ كو بدءاً من رواق الفضة وحتى معبد هانون لكي نرى أشجار الكرز. من المحتمل أن يكون موسم الزهر قد انتهى في الجوار، وأن الأزهار تساقطت كلّها. هذا يذكّرني بأني أمضيتُ ربيعاً وأنا في قمة انشغالي، وها هي أشهر شباط وآذار قد تسلّلت وكأنها حلم.

عدتُ في الحادية عشرة، وبدّلتُ أزهار غرفة المكتب، ووضعتُ أزهار الميموزا التي أرسلتْها لنا اليوم صاحبةُ بيت توشي ـ كو من حديقتها. يبدو أن زوجي قد نهض للتو، وصعد بينما كنتُ أنسّق الأزهار. هو يستيقظ عادةً في ساعةٍ مبكرة، ولكن في الآونة الأخيرة صار ينام الضحى. سألتُه: «هل استيقظتَ للتو؟» فسألني: «أليس اليوم يوم السبت؟» ثم أضاف بصوت ناعس: «غداً ربما ستخرجين منذ الصباح؟» (في الواقع، لم يكن صوته ناعساً كثيراً، ولكنه بدا بالأحرى أكثر قلقاً). أجبتُ جواباً لم يكن نَعَماً ولا، لا، بل غمغمتُ كلمةً مبهمة.

في الساعة الثانية أتى رجل غريب وسأل: «هل أستطيع أن أدخل؟» وأضاف أنه آتٍ من إيشيزوكا، وأنه معلم تدليك. لا أذكر أن أحداً كان قد طلبه. ولكن البايا قالت لي: «قال لي الأستاذ أن أحضر مدلّكاً، وهذا ما فعلتُه».

أمر غريب. طوال حياة زوجي وهو يكره أن تُمسّ قدماه وخصره، كما إن أحداً لم يدلّكه قطّ. سألتُ الخادمة فقالت: «منذ بعض الوقت، وكتفا الأستاذ متشنجتان إلى درجة لا تُطاق، حتى بات لا يستطيع أن يحرّك رقبته؛ فقال إنه يلزمه مدلّك ماهر. قلتُ له إني أعرف مدلّكاً ممتازاً، وسألتُه إن كان يريد تجربته لأنه

سينسى ألمَه بعد جلسة أو جلستين، وأنا صادقة في كلامي. حدّثتُه عنه قدر استطاعتي، وبدا أنه يتألّم كثيراً، فوافق أن أدعو الرجل».

كان رجلاً يقارب الخمسين من عمره، ولم يكن بشوش الهيئة، وكان نحيلاً، يضع نظارة سوداء. ظننتُه أعمى، ولكن لايُفترض فيه أن يكون كذلك. دون أن أفكّر كثيراً دعوته: «السيد المدلّك» لكن البايا قالت لي منزعجة جداً: «إذا ما ناديناه مدلّكاً فسيغضب، تفضّلي بمناداته: معلّم». طلب من زوجي أن يتمدّد على السرير الذي صعد عليه هو أيضاً وأخذ يعالجه. كان يرتدي قميصاً أبيض ولكن لم يكن بياضه ناصعاً. لم يرُق لي كثيراً أن يصعد رجل كهذا إلى سريرنا المقدّس. أعتقد أن زوجي محقّ في كرهه للمدلّكين. قام بحركات كبيرة وهو يقول: «غريبٌ كم أنتَ متشنّج! ولكني سأشفيك مباشرةً». دلّك زوجي طوال ساعتين، من الساعة الثانية إلى الرابعة. قال في نهايتهما: «تلزمك جلسةٌ أو جلستان وستشفى». ثم أضاف وهو يغادر أنه سيعود غداً. سألتُ زوجي: «كيف ترى نفسك الآن؟» فقال: «أفضل بقليل. ولكنه يؤلمني كثيراً وأشعر بانزعاج شديد عندما يدلّكني بأقصى قواه». «قال إنه سيعود غداً» فأجاب زوجي وقد بدا متشنجاً إلى أقصى الحدود: «حسنُ، سأجرّب مرةً أخرى أو مرّتين».

سألني: «غداً ربما ستخرجين منذ الصباح؟» فوجدتُ كثيراً من العناء في أن أقول له: «اليوم أيضاً سأخرج». ومع ذلك، وبما أنه ليس لدي سبب لأخرج في الساعة الرابعة والنصف، فقد بدّلتُ الكيمونو بلباسي الأوروبي ووضعتُ أقراطي، وأطللتُ لحظةً إلى الغرفة لأقول: «أنا ذاهبة» ثم أضفتُ لكي أخفي انزعاجي: «ونزهتك؟». «سوف أخرج أنا الآخر». لكنه بقي نائماً في سريره وقد أخمده التدليك.

كان هذا النهار خطيراً بالنسبة لزوجي. وكان خطيراً بالنسبة إليّ أيضاً. من المحتمل ألا أنسى ما حييتُ الأحداث التي سأرويها في مذكراتي، ولكني لا أريد أيضاً أن أضع فيها كثيراً من الاستعجال. وأعتقد أن من الحكمة بمكان ألا أشرح بكثير من التفصيل أين وكيف أمضيتُ وقتي منذ الصباح وحتى المساء.

مهما يكن من أمر، فقد وضعتُ لنفسي منذ زمن طويل مخطّطاً لنهار الأحد، وجرى كل شيء كما خطّطتُ له. ذهبتُ إلى أوساكا، إلى البيت المعتاد. والتقيتُ فيه بكيمورا، ثم أمضيتُ كعادتي دائماً نصف ساعة سعيدة. وربما كانت هذه السعادة أكثر اكتمالاً من أيام الآحاد الماضية. انغمستُ وكيمورا بكلّ أنواع الألعاب السرية الممكنة. وفعلتُ كل ما يريده، وثنيتُ جسدي كما يريد، وكنتُ أشبه بهلوانة تقوم بأوضاع غير مسبوقة لم يفكّر بها زوجي في حياته من أجل شريكته. (إني أتساءل كيف تعلّمتُ أن أليّن أعضاء جسمي بهذه الطريقة. أنا نفسي أستغرب ذلك! وأنا مدينة بهذا كلّه لكيمورا). عندما نلتقي في هذا البيت، منذ الدقيقة الأولى وحتى الأخيرة، نستسلم أحدنا للآخر بجوًى ملتهب دون أن نضيع ثانية واحدة، ولا نتبادل كلمةً واحدة بلا فائدة. أما اليوم فقد سألني كيمورا فجأةً: «بماذا تفكرين يا إيكو ـ كو؟» (منذ زمن طويل وكيمورا يناديني إيكو ـ كو) أجبت: «لا أفكر بشيء محدّد». ومع ذلك، في تلك اللحظة، مرت أمام عينيّ صورة وجه زوجي، الأمر الذي لم يحدث معي من قبل. كان من المستغرَب أن يرفرف في خاطري وجهُ زوجي في تلك اللحظة. حاولتُ أن أطرده بكل قواي. لكن كيمورا تدخّل قائلاً: «فهمت... إنك تفكّرين بالأستاذ، أليس كذلك؟» لقد كشفني.

ومع ذلك أضاف: «لستُ أدري، ولكن أنا الآخر قلق عليه. عتبة بيتك صارت عاليةً عليّ منذ ... لذا فإني لا أتخطّاها» ومع ذلك فقد اقترح أن يزورنا. لقد كتب إلى مدينته لكي يستقدم بيض السمك المجفّف. وربما وصل البيض مسبقاً؟ توقّف الحديث ثم عدنا إلى الغوص في عوالم شهواتنا. وعندما أفكّر بذلك الآن تنتابني رعشة.

حين عدتُ في الخامسة كان زوجي في الخارج. سألتُ البايا فقالت: لقد أتى معلّم التدليك بين الساعة الثانية والرابعة والنصف. لقد عالج زوجي ثلاثين دقيقة إضافية عن أمس. «إذا كانت كتفاك متصلّبتين بهذا الشكل فهذا دليل على ارتفاع التوتّر الشرياني. أدوية الأطباء لا تنفع في شيء. يمكنكَ أن تتوجّه إلى أستاذ كبير في الكلية: لن تشفى بهذه البساطة، حريٌّ بك أن تثق بي: أنا أضمن لك الشفاء. أنا لا أمارس التدليك فقط، بل الوخز بالإبر أيضاً والموكسا. إذا لم ينجح التدليك فسوف أطبّق عليك الوخز بالإبر، وخدَرك سيتحسّن خلال يوم واحد» قال كل هذا وأشياء أخرى. «حتى لو كان ضغطكَ مرتفعاً فإن أعصابك هي المريضة، ولا فائدة من قياسه باستمرار. فبمجرّد أن تقلق سيزداد ارتفاعاً. ثمة أشخاص كُثُر يعيشون مع ضغط 200، وبين 240 إلى 250 دون أن يهتمّوا. لا تحزن بلا فائدة. اعتدِل في تناول الكحول والتدخين. ضغطك الشرياني ليس خبيثاً، وستتحسّن».

أعجب زوجي بهذا الرجل كثيراً، فقال له أن يعود يومياً، وأعلن أنه لن يزور الأطباء بعد اليوم.

عاد من نزهته عند السادسة والنصف. تعشّينا معاً عند السابعة. كانت البايا قد أعدّت ما اشتريتُه بالأمس من نيشيكي.

حساء براعم البامبو الصغيرة، وفول مسلوق بالماء المالح، وبازلاء مع قطع الكويادوفو(*). بالإضافة إلى بيفتيك مع فتيلة زنتها مئتان وخمسة وعشرون غراماً. (وُصف لزوجي التغذّي بالخضار، وتجنّب الدهون قدر الإمكان. ولكن لكي يعاندني، لم يقبل أن تنقص كمية اللحم في طبقه، سواء في السوكيّاكي، أو مشوياً. وما يفضّله هو البيفتيك المدمّى جيداً). إنه يأكل منه لأنه ضروري له أكثر من محبّته له. وعندما ينقص اللحم يبدو قلقاً. إن طهي البيفتيك إلى الدرجة المطلوبة أمر عسير، وأنا من يتولّى هذه المهمة عندما أكون في البيت. رأيتُ أن بيوض السمك قد وصلت أخيراً، وأنها على الطاولة. فقال: «يجب أن نشرب قليلاً مع هذا الكافيار الجاف». حضر الكورفوازييه، ولكننا لم نشرب كثيراً.

في المرة الماضية، بعد ذلك الحديث العاصف مع توشي ـ كو بغيابي، شرب زوجي الزجاجة كلها تقريباً، ولم يبق منها إلا القليل، كأس واحد لكل منا. ثم صعد زوجي إلى الطابق الأعلى. عند الساعة العاشرة والنصف صعدتُ بدوري لأقول له إن الحمام جاهز. وبعد أن استحمّ استحممتُ بدوري. (لم أكن بحاجة للحمام، فقد استحممتُ في أوساكا، ولكني فعلتُ ذلك احتراماً لزوجي. وغالباً ما تصرّفتُ على هذا النحو حتى الآن). عندما دخلتُ غرفة النوم كان زوجي قد سبقني إلى السرير. ما إن رآني حتى أشعل المصباح. في الآونة الأخيرة لم يكن يحب أن تُنار الغرفة إلا في هذا الوقت. تصلّب الشرايين أطفأ عينيه، وصارت الأشياء من حوله تبدو لامعة، ومثنّاة ومثلّثة. لقد تأثر بصره إلى درجة أنه لا يستطيع أن يترك عينيه مفتوحتين.

(*) عجينة من الفاصولياء المجفّفة والمقطعة إلى مكعّبات.

وعندما لا يكون بحاجة إلى النور، بصورة عامة يترك الغرفة نصف مظلمة، ولكن في بعض اللحظات يضيء المصابيح الفلورية إلى أقصى مداها. ازداد عدد هذه المصابيح عمّا كان في البداية، وصارت الغرفة تغرق في النور. وعندما رآني زوجي في هذه الإنارة أخذت عيناه تغمزان من الاستغراب. وهذا هو السبب: عند خروجي من الحمام، وافتتني فكرة مفاجئة أن أضع أقراطي لكي أنام. أدرتُ ظهري لزوجي متعمّدةً، لكي أريه أذنيّ من الخلف، ولكن هذه الحركة الفارغة بحد ذاتها، والتي لم أعتد عليها، سرعان ما أجّجت مشاعره. (زوجي يدّعي أنه لا يوجد في العالم كله من امرأة عاهرة مثلي. ولكن برأيي، لا يوجد في العالم رجل متعطّش جنسياً مثله. منذ الصباح وحتى المساء، وفي أي وقت من النهار، لا يفكّر بشيء آخر. إنه يتحفّز عند أول إشارة معبّرة أقوم بها. وعندما لا أكون متنبّهة، يبادر إلى الهجوم المعاكس).

لم يتوانَ زوجي عن المجيء إلى سريري، كلّمني من خلف ذراعيه وهو يتكوّر، وأوسع أذنّي لثماً. استسلمتُ مُغمَضَةَ العينين. لا أستطيع أن أنكر أني استسغتُ أن يلعب رجلٌ بأذني، وهو زوجي، ولكني لا أستطيع أن أقول إني كنتُ أحبّه في تلك اللحظة.

«أية طريقة خرقاء في التقبيل!» فكرتُ وأنا أقارنها بطريقة كيمورا، على الرغم من أني استسغتُ دغدغات لسانه. تذوّقتُ نوعاً من الحلاوة وسط هذا الإحساس بالاشمئزاز. أنا واثقة من أني أكره من قلبي هذا الرجل الذي هو زوجي، ولكن عندما أعرف أنه يدخل في هذيان معينّ بسببي فإني أجد متعةً في منحه فرحاً مجنوناً.

في النهاية، أنا هكذا، أميّز تمييزاً واضحاً بين الحب

والشهوة. ورغم ابتعادي عن زوجي، وإحساسي بمقتٍ شديدٍ نحوه، فإني أقوده إلى عالم من المتع ينتهي بي الأمر في أن أهوي فيه أنا أيضاً. في البداية أكون باردة إلى أقصى الحدود، ولكن عندما أفكّر بالطريقة التي أجعله من خلالها أكثر فأكثر جنوناً، أَستمرئُ اللعبة، وأترقّب اللحظة التي يأخذ فيها باللهاث ويبدو كأنه يفقد عقله، أنتشي بمهارتي، وأسقط أنا الأخرى في الجنون نفسه.

اليوم أيضاً، أريتُ زوجي الألعاب، لعبةً تلو أخرى، التي كنتُ قد لعبتُها في النهار مع كيمورا، وتلذّذتُ في تذوّق الفارق بينهما. أشفقتُ على قلة حيلة زوجي، ولكن كيف حصل أني هويتُ في الهستيريا نفسها التي هويت فيها عصراً؟ بالقوة عينها التي ضممتُ بها جسد كيمورا عصراً، عانقتُ هذا الرجل، وضممتُه. تعلّقتُ بعنقه (لا ريب في أنه قال لنفسه: هذه أساليب منحلّة!) لم أعد أذكر كم من المرات ضممتُه بين ذراعي. ولكن بعد دقائق طويلة، عندما أوصلتُه إلى اللحظة الحاسمة، انهار جسده فجأةً وهوى فوقي، ثم انزاح عني. فهمتُ مباشرةً أن أمراً خطيراً قد حصل. ناديتُه فتلفّظ بكلمات مشلّعة، وغير مفهومة. سقط سائلٌ فاتر على وجهي وخدّي. ثم فتح فمه فتدفّق لعابه.

18 نيسان

تذكّرتُ مباشرةً النصيحة التي نصحني الدكتور كوداما أن أقوم بها في ظروف كهذه. كنتُ مضغوطة بالجسم الجاثم فوقي، فتخلّصتُ منه بهدوء. (بدا لي جسمه وقد صار ثقيلاً فجأةً بعد أن صار خائراً. وصار يضغطني بثقله الكبير). سحبتُ بهدوءٍ وجهي الذي كان تحت وجهه دون أن أهزّ رأسه قدر المستطاع. بدأتُ بنزع نظارته التي كانت تزعجني. لن أتحدّث عن الشعور الذي

انتابني وأن أرى عينيه نصف المغمضتين بلا نظارة، وعضلات الوجه وقد صارت رخوة.

نزلتُ من السرير، وبكل الحرص تمكّنتُ من قلبه على ظهره. ولكي أرفع رأسه إلى أفضل وضع ممكن، وضعتُ الوسائد تحت الجزء الأعلى من جسمه. لم يكن يرتدي شيئاً، حتى نظارته.(وأنا لم أكن أضع في تلك اللحظة إلا أقراطي). ولكني فكّرتُ بضرورة الراحة التامة له فتركتُه عارياً، ولم أغطّه إلّا برداء رقيق. فهمتُ أن الجزء الأيسر من جسمه قد شُلّ. أردتُ أن أعرف كم الساعة فألقيتُ نظرةً على الساعة الجدارية الموضوعة على الرف، فكانت الواحدة وثلاث دقائق صباحاً. كانت المصابيح الفلورية ما تزال مضاءة، فأطفأتها واكتفيتُ بإشعال مصباح طاولة السرير، ووضعتُ قماشاً على كمّته. هتفتُ إلى سيكيدن ـ شو وللدكتور كوداما لكي يأتي فوراً. قلتُ لتوشي ـ كو أن توقظ بائع الثلج وهي قادمة وتجلب معها ثلجاً. (أردتُ أن يهدأ بالي، فقد كان الأستاذ يرتعش بين يديّ). وبعد أربعين دقيقة وصلت توشي ـ كو. بينما كنتُ في المطبخ أحضّر أدوات الثلج، دخلت وقطع الثلج بيديها، وضعتها على المجلى، ونظرت إليّ بعينين مستفسرتين لتعرف مشاعري، ثم أخذت تكسر قطع الثلج دون أن تتكلّم. حدّثتُها باختصار عن حال أبيها الآن. اكتفت بأن تومئ برأسها «نعم، نعم»، دون أن يُبدي وجهها أي انفعال، ودون أن تحاججني، واستأنفت تكسير الثلج. ذهبنا إلى غرفة النوم ووضعنا الكمّادات. لم نتبادل كلمةً واحدة غير ضرورية. ولم نتبادل النظرات، بل كنا نتحاشى ذلك.

وصل الدكتور كوداما في الساعة الثانية. تركتُ توشي ـ كو وحيدةً عند سرير أبيها وذهبتُ لاستقبال الدكتور. شرحتُ له

بسرعة في أية ظروف حصل ما حصل، (وهذا ما لم أقله بالطبع لتوشي ـ كو) فعراني الخجل.

فحص الدكتور كوداما زوجي بعناية قصوى، ثم قال لي: «أعطني مصباح جيب». فحص رد فعل حدقتي زوجي ثم سألني: «أليس لديكِ شيء ما كعود صغير مثلاً؟» ذهبت توشي ـ كو إلى المطبخ وجلبت عودين، فقال الطبيب: «تفضّلي بإنارة الأنوار كلها» فأنرتُ المصابيح الفلورية. مرّر بهدوء عدة مرات أحدَ العودين على أخمص القدم اليمنى، ثم اليسرى، من الكعبين حتى قمة الأصابع. (أفهمني الدكتور كوداما أنه يطبّق انعكاس بابينسكي: عندما نحكّ أخمصَي القدمين هكذا برأس عود، فإذا مالت القدم من جهة معينة إلى الجهة المعاكسة، يتبينّ لنا أن هناك نزيفاً دماغياً في هذه الجهة المعاكسة). ثم قال: «في حال زوجكِ هذه، نستطيع أن نستنتج أن لديه نزيفاً دماغياً في الجهة اليسرى». ثم سحب الدكتور الغطاء الذي كان يغطي المريض، وكشف عن أسفل بطنه. (في هذه اللحظة فقط لاحظ الدكتور وتوشي ـ كو أن زوجي كان عارياً تماماً. وعندما ظهر الجزء السفلي من جسم زوجي تحت النور الفلوري الساطع ندّت عن الاثنين صرخة مفاجأة قصيرة، وكانت تلك اللحظة أكثر قسوةً عليّ).

بدا لي أمراً لا يُصدّق أني كنتُ قبل ساعة فقط أرزح تحت جسم هذا الرجل. لقد كان جسمي معروفاً تماماً عنده بعد أن صوّره مراراً، ولكني لم أرَ قطّ جسمه من هذه الزاوية. كنتُ أستطيع ذلك لو أردتُ، ولكني تمنّعت عن ذلك حتى هذه الساعة. فحين يكون عارياً كنتُ أسارع إلى الالتصاق به بحيث لاأراه. أعتقد أنه درس جسمي حتى أدقّ مسامّه، في حين أجهل

تفاصيل جسمه، ولم أكن راغبةً في ذلك، بينما كنتُ متحرّقةً للتعرّف إلى جسد كيمورا. في الواقع، كنتُ أتصوّر لو أني عرفت التفاصيل لشعرتُ بكرهٍ أكبر نحوه. استغربتُ كيف نمتُ مع رجلٍ له هذا المظهر البائس. يقال إن ساقيّ مقوّستان أكثر من ساقي زوجي، ولكن عندما رأيتُ ساقيه وهو راقد في السرير تبيّن لي أن ذلك لم يكن صحيحاً. فتح الدكتور كوداما الساقين بفرجةٍ تقارب الخمسين سنتيمتراً لكي يتمكّن من فحص أعضائه النبيلة. وكما فعل من قبل تناول العود وحكّ به جلد الخصية الأولى ثم الثانية (شرح لي الدكتور فيما بعد أن غايته من هذا الاختبار هي التحقّق من العضلات الرافعة). ثم كرّر عمله مرتين ثم ثلاثاً على الجانبين. على اليمين حدثت بضع حركات بطيئة من الصعود والهبوط، ولم يُلحظ شيء على الجهة اليسرى. (لم نعرف، أنا وتوشي ـ كو، أين نوجّه نظرينا. وأخيراً خرجت توشي ـ كو). ثم قاس الحرارة والضغط. كانت حرارته عادية، أما الضغط فقد تجاوز 190. رأى الدكتور أن هذا الانخفاض في الضغط يعود جزئياً إلى النزيف.

بعد ذلك، جلس قرب السرير لمدة ساعة ونصف لكي يتابع تطوّر حالة المريض. وفي أثناء ذلك، سحب من أوردة ذراع المريض مئة غرام من الدم، وحقنه بمحلول مركّز بـ 50% والنيوفيلين والفيتامينات ب1 وك. وقال أخيراً: «سأعود عصراً. ولكن من المفضّل أن تطلبي من الدكتور إيبا المجيء». وكانت تلك نيّتي بالفعل.

سألته: «هل يجب عليّ أن أبلغ أفراد الأسرة؟» فأجابني: «من الأفضل الانتظار» وغادَرَنا عند الساعة الرابعة صباحاً. رجوته أن يرسل لنا ممرضةً وأنا أشيّعه إلى الباب.

وصلت البايا عند الساعة السابعة صباحاً. وغادرت توشي - كو إلى سيكيدن - شو وهي تَعِد بأنها ستعود عند الساعة الرابعة عصراً. انتظرتُ توشي - كو حتى مضت ثم اتصلت بالبنسيون الذي ينزل فيه كيمورا. ووصفتُ له بالتفصيل الحالة التي يعيشها زوجي، وأضفت أن من المفضّل أن يؤجّل زياراته حالياً. فقال: «أنا لستُ مرتاحاً، اسمحي لي أن أراكِ لحظةً». فقلتُ له إن المريض مشلول شللاً نصفياً، وإنه لا يتكلّم بحريّة، وإنه لم يفقد وعيه تماماً، وإني لا أعرف كيف ستكون ردّة فعله إذا ما رأى وجه كيمورا. فقال مصرّاً: «إذن لن أدخل إلى غرفته، واسمحي لي أن أبقى في مدخل البيت فقط».

عند الساعة التاسعة، بدأ زوجي يُصدر شخيراً. كان يشخر عادةً، أما اليوم فكان شخيره رهيباً، ومختلفاً عن شخيره السابق. ورغم فتور وعيه ما يزال يعمل، والآن يبدو أنه غاص في الغيبوبة. اتّصلت بكيمورا من جديد وقلتُ له إن بوسعه أن يأتي ويدخل بلا عائق.

وصل بُعيد الثانية عشرة والنصف، مستفيداً من الفاصل الزمني بين حصّتي يوم الاثنين. دخل إلى الغرفة وبقي نصف ساعة عند رأس المريض، جالساً على كرسي... وجلستُ على سرير زوجي (الذي كان سريري). تبادلنا كلمتين أو ثلاثاً، وفي تلك اللحظة علا شخير المريض، وصار كقصف رعد بعيد. (هل كان ذلك شخيراً حقيقياً؟) لا بدّ أن كيمورا قرأ مخاوفي على وجهي، وبدا وكأنه يفكّر الأفكار نفسها. صمتنا. وغادر كيمورا عند الواحدة.

وصلت الممرضة، وكانت امرأة لطيفة بين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين من عمرها. ووصلت توشي - كو أيضاً.

وجدتُ نفسي غير مشغولة لبعض الوقت، فاستفدتُ من ذلك وتناولتُ الغداء، فأنا لم آكل شيئاً منذ مساء أمس.

في الساعة الرابعة، أتى البروفسور إيبا، وكان الدكتور كوداما موجوداً. كان المريض قد سقط في سُبات منذ الصباح. بلغت درجة حرارته 38 درجة. وبصورة عامة أكّد تشخيص البروفسور تشخيص الدكتور كوداما. أعاد اختبار بابينسكي، ولم يكرّر الاختبار الآخر. ورأى هو الآخر أن لا حاجة لإجراء فصد. ثم أعطى الدكتور كوداما تعليمات مفصّلة بلغة تقنية.

بعد ذهاب البروفسور والدكتور ظهر معلّم التدليك ليعطي جلسته. ذهبت توشي ـ كو لملاقاته وقالت له بلهجة غاضبة: «بفضل علاجك، سقط أبي في هذه الحالة» ثم طردته. لقد سمعت توشي ـ كو الدكتور كوداما يقول لي: «إن تدليكاً يزيد عن الساعتين يعطي أثراً ضارّاً، وربما كان هذا سبباً مباشراً لما حدث».

(كان الدكتور كوداما يعرف أن السبب الحقيقي في مكانٍ آخر، ولكن من المحتمل أنه حمّل المسؤولية للمدلّك لكي يواسيني).

ومن باب الاعتذار، لم تكفّ البايا عن تكرار: «لقد كنتُ مخطئةً تماماً عندما عرّفتُ الأستاذ على هذا المدلّك. ما قمتُ به هو عمل شنيع!».

بعد الساعة الثالثة قالت لي توشي ـ كو: «ليتكِ تنامين قليلاً يا أمي!». في الحقيقة، كنتُ بحاجة إلى النوم، ولكن المريض كان يشغل سريري. وسهرت توشي ـ كو والممرضة، ولم تكفّا عن المرور في الصالون. كانت غرفة توشي ـ كو خالية، ولكنها لم

تكن تحبّ التصرّف بها في غيابها. وكانت خزاناتها ومكتبتها وأدراج طاولتها كلها مقفلة بالمفتاح، وقلّما أدخل إليها. قرّرتُ أن أستريح في الطابق العلوي، في غرفة المكتب. فرشت الفوتونات على الأرض ونمت. فكرتُ أني بنومي هنا أستطيع أن أساعد الممرضة في نوبتها، ولكن بعد أن رقدتُ تبينّ لي أن النوم مستحيل. بل كنتُ أرغب في تسجيل الأحداث التي وقعت منذ البارحة في مذكراتي. وتابعتُ كتابتها وأنا راقدة.

(لحظة صعودي إلى الطابق الأعلى، كنتُ قد اتخذت هذا القرار فحملتُ معي قلمي ودفتر مذكراتي، دون أن أثير انتباه توشي ـ كو).

أمضيتُ ساعةً ونصف في كتابة الأحداث التي جرت منذ صباح 17 حتى الآن. ثم خبّأتُ الدفتر على رفّ الكتب. ونزلتُ إلى الطابق الأرضي، وكأني أفقتُ للتو، وكانت الساعة تقارب السابعة عشرة.

عندما دخلتُ إلى غرفة النوم بدا زوجي صاحياً، يفتح عينيه بين وقتٍ وآخر وينظر حوله. قيل لي إنه يفعل هذا منذ نحو عشرين دقيقة. لقد نام إذن سبع ساعات متواصلة، منذ الساعة التاسعة صباحاً. وقالت لي الممرضة، مدام كويكي: «هذا جيد لأني سمعتهم يقولون: إذا نام المريض أكثر من أربع وعشرين ساعة فهناك خطر». هذا ممكن، ولكن حركات الجهة اليسرى ماتزال مشلولة.

حوالى الساعة الخامسة عشرة والنصف أصدر المريض همهمةً، وبدا وكأنه يريد أن يقول شيئاً ما (وكانت كلماته غير واضحة، ولكني أتصوّر أنها كانت أوضح بقليل من الفجر، بعد الحادث مباشرة). حرّك قليلاً يده اليمنى باتجاه أسفل بطنه،

فعرفتُ أنه يريد أن يبول، فوضعتُ له المبولة، ولكن لم يحدث شيء، وبدت جهوده المبذولة وقد آلمته...

سألتُه: «ألا ترغب في التبوّل؟» أشار أن نعم. وحاولتُ من جديد، بلا نتيجة. لا بدّ أن البول قد وسّع أسفل بطنه وهو يؤلمه الآن نتيجة احتقانه طوال هذا الوقت. فهمتُ أن المثانة مشلولة، وهذا يمنعه من التبوّل. تلفتتُ إلى الدكتور كوداما لأسأله رأيه، فتناولت مدام كويكي جهاز قثطرة وأدخلته فأخرج كمية كبيرةً من البول.

وعند الساعة التاسعة عشرة أعطينا المريض قليلاً من الحليب وعصير الفواكه بمصّاصة.

نحو الساعة العاشرة ليلاً، عادت البابا إلى بيتها، فهي لاتستطيع أن تُمضي الليلة عندنا لأسباب عائلية، ولكنها عملت حتى تلك الساعة المتأخرة.

سألتني توشي ـ كو: «ماذا يجب أن أفعل؟» ففهمتُ أنها تقصد: «لا فائدة من بقائي، ولكن إذا ما بقيتُ فهل يزعجكِ بقائي؟» أجبتُها: «يمكنكِ أن تبقي إذا أردتِ، ولكن افعلي ما طاب لكِ. يبدو أن التحسّن الطفيف في حالة مريضنا مستمر، لا تقلقي، فإذا ما حدث شيء خطر سوف أتّصل بكِ وستأتين». «نعم، أليس كذلك؟» ثم مضت إلى سيكيدن ـ شو عند الساعة الحادية عشرة.

غفا المريض إغفاءة خفيفة.

19 نيسان

الساعة الثانية عشرة، أنا ومدام كويكي في غرفة المريض، لا نتبادل أية كلمة. ولئلا يزعج النورُ المريض كنا نمضي ساعات طويلة في قراءة الصحف والمجلات على ضوء مصباح له كمّة.

اقترحتُ على مدام كويكي أن تذهب لتستريح في الطابق العلوي فلم تقبل. وعند الساعة الخامسة، حين بدأ الفجر يبزغ، ذهبت لتستريح قليلاً.

أخذت أشعة الشمس تدخل من الشقوق بين درفات النافذة وتزعج المريض الذي لا يستطيع أن يغفو بارتياح. دون أن أتنبّه كان يدير وجهه نحوي ويفتح عينيه الغائمتين. بدا وكأن بصره يبحث عني. كنتُ جالسةً على كرسي قريب من السرير؛ ألا يراني؟ أم إنه يراني ويتظاهر بعدم رؤيتي؟ لا أعرف بالضبط. حرّك شفتيه وقال أمراً ما. لم أفهم الكلمات الأخرى، ولكن يبدو لي أني سمعته يقصد: كي... مو... را. ربما لو أراد لكان بوسعه أن يلفظ بصورة أفضل، ولكني أعتقد أنه يخرج كلمات مبهمة لكي يعبّر عن انزعاجه. وبعد أن كرّر الكلام نفسه مرتين أو ثلاثاً صمَت، واضطربت عيناه.

عند الساعة السابعة عادت البايا، ثم توشي ـ كو بعدها بقليل، حوالى الثامنة، ونهضت مدام كويكي ونزلت.

عند الساعة الثامنة والنصف أعطينا المريض فطوره: قليلاً من الأرز المتبّل، وصفار البيض وعصير البرتقال. أعطيتُه هذه الأشياء بالملعقة، وبدا أنه يفضّلني على الممرضة في جميع الخدمات الحميمة.

بُعيد الساعة العاشرة احتاج للتبوّل. أحضرتُ المبولة ولكن بلا فائدة أيضاً. أرادت مدام كويكي أن تسبره بالقثطرة فعارض ذلك وأشار إليها بيده أن تبتعد مع قثطرتها. لم يكن بوسعي إلا أن أعود إلى المبولة، ولكن بعد عشر دقائق، ولم يحدث شيء. بدا وقد عيل صبره تماماً. حاولت مدام كويكي أن تقنعه كأنه طفل: «لا بد أن هذا سيكون مزعجاً لكَ، ولكن من الأفضل لك أن تتخلّص

من البول وينتهي الأمر. دعني أعمل، وسترتاح بعد ذلك». كرّر المريض كلمات غير مفهومة، وبدا وكأنه كان يريد أن يشير إلى أمر ما بيده، وكنا، مدام كويكي وتوشي ـ كو وأنا، نصغي إليه بانتباه. بدا وكأنه يقول موجّهاً كلامه إليّ: «إذا كان يجب إدخال المسبار، فأدخليه أنتِ. ولتخرج توشي ـ كو والممرضة». حاولتُ وتوشي ـ كو أن نشرح له أن هذا المسبار لا يمكن أن تستخدمه إلا الممرضة، وأن عليه أن يدع مدام كويكي تعمل عملها.

عند الظهر تناول غداءه. أعطيتُه طعام الصباح نفسه تقريباً، وأبدى شهيةً له.

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف أتى كيمورا. قلتُ له إن زوجي خرج من سباته وقد بدأ يستعيد وعيه كلّياً، وإني أعتقد أنه لفظ اسم «كيمورا». استقبلتُه عند المدخل، ثم رجوته أن يذهب.

في الساعة الواحدة أتى الدكتور كوداما، ورأى أن المرض يسلك طريقاً إيجابياً، ويجب الاستمرار في متابعة المريض بعناية، ولكن ثمة مجالاً للأمل. بلغ ضغطه الأعلى 165 والأدنى 110؛ وانخفضت درجة حرارته إلى 37.2 درجة. اختبر الانعكاسين (تساءلتُ كيف ستكون حاله عندما سيختبر خصيتيه، ولكنه بقي غير مبالٍ، عيناه تنظران في الفراغ، وهو يتركه يقوم بعمله). قام الطبيب بحقنه بسكّر العنب وبالنيوفيلين وبالفيتامينات.

على الرغم من أني لم أخبر أحداً عن مرضه، فقد سرى الخبر في الكلّية مع الوقت. وحدثت زيارات عصراً واتصالات هاتفية، وأتتنا سلال فواكه، وباقات زهر. وأبدت نحوي سيدةُ

سيكيدن ـ شو التي يمرّ زوجها في الحالة نفسها مزيداً من اللطف، وقدّمت لي باقةً من الليلك مقطوفة من حديقتها. وضعتها توشي ـ كو في مزهرية وأتت بها إلى غرفة المريض وهي تقول لأبيها: «بابا، إن السيدة صاحبة بيتي هي التي قطفت هذا الليلك من حديقتها». ووضعت المزهرية على حامل، على مرأى من المريض. ومن بين الفواكه التي أتتنا كان هناك برتقال ماوردي وإيو، وكان زوجي يكنّ لهذا الصنف حباً خاصّاً. أخذتُ الخلّاط وعصرتُ فيه عصيراً وقدّمتُه له.

في الساعة الخامسة عشرة، تركتُ أمر المناوبة لتوشي ـ كو ومدام كويكي وصعدت إلى الطابق العلوي. كتبتُ مذكّراتي ثم نمت. اليوم، كان علي دين كبير من النوم. فنمتُ نوماً عميقاً طوال ثلاث ساعات.

انسحبت توشي ـ كو بُعيد العشاء، في الساعة العشرين. وغادرتنا البابا بعد ذلك بساعة ونصف.

20 نيسان

الساعة الواحدة صباحاً. الممرضة صعدت لتنام، وبقيتُ وحيدة في غرفة المريض. منذ أن خيّم الليل والمريض يبدو نائماً، ولكن بعد ذهاب مدام كويكي بعشر دقائق بدا لي أن المريض قد استيقظ. وبما أنه كان راقداً في نصف ظلام، لم أكن متأكّدة من يقظته، ولكنه كان يقوم بحركات خفيفة من جسمه، وبدا فمه يتمتم. نظرتُ إليه عرضاً: هكذا ظننتُ، وكانت عيناه مفتوحتين، منذ كم من الوقت؟ لستُ أدري. مسحَتْ نظرتُه وجهي ثم ذهبت إلى البعيد خلفي. بدا وكأنه يمعن النظر إلى أزهار الليلك التي وضعتها توشي ـ كو هنا. كان المصباح مغلّفاً بحيث بدا من الصعب قراءة صحيفة في جزء كبير من الغرفة. ولكن في

مخروط النور وجد بياض الليلك الخفيف الذي ينثر أريجه. بدا وكأنه يثبّت نظره بصورة غير إرادية على باقة الزهر تلك ويفكّر. رغماً عني، شعرتُ بصدمة.

عندما قالت توشي ـ كو أمس: «مالكة بيتي قطفت من حديقتها أزهار الليلك هذه وقدّمتها لنا» قدّرتُ أنه كان من الأفضل لها ألا تقول شيئاً. ترى ماذا كانت تنوي؟ من المحتمل جداً أن يكون المريض قد فهم كلامها. وحتى لو لم يفهمه لا بد أن هذه الأزهار ذكّرته بالشجيرة المغروسة في حديقة سيكيدن ـ شو. ولا بدّ أنها تذكّره بما حدث مراراً في الشقة المستقلّة في ذلك البيت. تملّكني قلق متفاقم، ولكن عندما نظرتُ إلى عينيه تساءلتُ إن لم يكن يرفرف خلف هاتين الحدقتين، الخاليتين من أي تعبير، حلمٌ يتعلّق بتلك الأحداث. فسارعتُ إلى إبعاد الأزهار عن نور المصباح.

في الساعة السابعة صباحاً أخرجتُ الأزهار من الغرفة واستبدلتُها بكأس من الكريستال وُضعت فيه بعض الورود.

زارنا الدكتور كوداما في الساعة الثالثة عشرة. انخفضت درجة حرارته إلى 36.8 درجة. أما الضغط فأبدى ارتفاعاً: 185 ـ 140. وعاد الطبيب إلى حقنه بالنيوهيبوتونين. وعاد أيضاً إلى اختبار أعضاء جسمه. شيّعتُه إلى مدخل البيت وتحدّثتُ معه عن حالة المريض. وبما أن المثانة ما تزال مشلولة، فقد سبرته مدام كويكي هذا الصباح أيضاً، وتألّم أيضاً. أتفه الأمور يثير أعصابه، ويبدو أنه غاضب لأنه لا يستطيع استخدام فمه بحرية، وكذلك يديه وقدميه. قرّر الطبيب أن يعطيه اللومينال ليهدّئه ويؤمّن له نوماً هادئاً.

لم تأتِ توشي ـ كي هذا الصباح، بل وصلت عند الساعة

السابعة عشرة. وبدءاً من الساعة الثانية والعشرين أخذ المريض يشخر شخيراً مختلفاً كل الاختلاف عن شخيره أول أمس، وصار شبيهاً بشخير نوم هادئ. اعتقدتُ أن هذا بتأثير اللومينال الذي حُقن به بعد العشاء. تفحّصت توشي ـ كو الوجه النائم وقالت: «أمر جيد، إنه ينام نوماً عميقاً» ثم ذهبت بعد ذلك بقليل. وكذلك ذهبت البابا. وأرسلتُ مدام كويكي إلى الطابق العلوي لتنام. قبيل الساعة الحادية عشرة رن الهاتف. ذهبتُ إليه: إنه كيمورا. قال لي: «أعتذر للاتصال في مثل هذه الساعة». أليست توشي ـ كو هي من أخبرته أني أكون وحيدة في مثل هذا الوقت؟ أضاف: «أريد أن أطمئن على حال المريض». قلت له إنه ينام نوماً عميقاً ويشخر بفضل حقنة منوّمة. «هل أستطيع أن أسمح لنفسي برؤيتكِ للحظة؟» تساءلتُ: تُرى ماذا يعني برؤيتي؟ أجبتُه بصوتٍ خافت إلى أقصى حد ممكن وأن أتقرّب من السمّاعة: «إذا أتيت فانتظرني في الحديقة حتى أخرج إليك من باب الخدمة. وإذا لم تَرَني فاعلم أن الوقت غير ملائم، واذهب».

وبعد ربع ساعة، سمعتُ وقع خطى خفيفة في الحديقة. كان المريض يواصل شخيره. استقبلتُ كيمورا من باب الخدمة، وتحدّثنا ما يقارب نصف الساعة في غرفة المريض؛ وهذا ما يزال يشخر.

21 نيسان

زارنا الدكتور كوداما في الساعة الثالثة عشرة. كان الضغط 180 – 136، فقد انخفض عما كان بالأمس، ولكن لم يبدُ الدكتور راضياً بعد. يجب أن يكون الحد الأقصى للضغط 170، وأن يكون الفارق مع الضغط الأدنى 50 على الأقل. وكانت درجة

حرارته 36.5، أي عادية. واستطاع أن يبول هذا الصباح في المبولة وإن كان ذلك بعد بعض الجهود. وكانت شهيته مقبولة، فقد قَبِل كل ما قُدم إليه، ولكن الآن نحن لا نقدّم له إلا الأطعمة نصف السائلة.

عند الساعة الرابعة عشرة عهدت بالمريض إلى الممرضة، وصعدت إلى الطابق العلوي. كتبتُ مذكّراتي ثم غفوت حتى الساعة السابعة عشرة. عندما نزلتُ، وجدتُ توشي ـ كو في الغرفة. وبعد ذلك بقليل، قبل العشاء بحوالى نصف ساعة، حقنّاه بحقنة لومينال. وبما أن الدواء يفعل فعله بعد أربع ساعات أو خمس، رأى الدكتور أن يُعطى حقنةً منوّمة يومياً عند هذه الساعة بحيث ينعم بنوم هادئ أثناء الليل. إلا أنه أَمَرَ مدام كويكي بألا تقول للمريض إن هذا الدواء منوّمٌ، بل يجب أن يظن أن الحقنة مخصّصة لتخفيض الضغط.

عند الساعة الثامنة عشرة رأى المريض عشاءه يوضع على طاولة السرير. بدا وكأنه يريد أن يقول شيئاً ما، وهو يحرّك شفتيه. كرّر الكلمة نفسها مرتين أو ثلاثاً ولم نفهم ما يريد. عندما تناولتُ الملعقة لأطعمه ماء الأرز دفع يدي وقال كلمةً ما. ظنّت توشي ـ كو أن طريقتي في إطعامه لا تعجبه، فحاولت أن تحلّ محلّي، وكذلك مدام كويكي، ولكن يبدو أن طريقة الإطعام ليست هي سبب رفضه. شيئاً فشيئاً فهمتُ ما يقصده: «بيف ـ تيك! بيف ـ تيك!» أمر لا يصدّق، ولكن هذا بالفعل ما يقوله. بدت عيناه للحظةٍ تتضرّعان إليّ وهو يلفظ ذلك، ثم تضطربان. لا بدّ أن الأُخريين لم تفهما شيئاً (لا أعرف إن كانت توشي ـ كو قد فهمت). ودون أن ألفت انتباههما التفتُّ إلى المريض وهززتُ رأسي برفق وأنا أريد أن أقول: «ليس الآن وقت التفكير في هذا... اصبر قليلاً... !» هل فهمني يا ترى؟ على أية حال لم يعد

يطلب شيئاً، بل فتح فمه بوداعة وابتلع ماء الأرز الذي لقّمتُه إياه بالملعقة.

عند الساعة العشرين ذهبت توشي ـ كو. وبعد ساعة، ذهبت البايا. وعند الساعة الثانية والعشرين غرق المريض في نوم عميق وراح يشخر، فأرسلتُ مدام كويكي إلى الطابق العلوي.

عند الساعة الحادية عشرة مساءً، سمعتُ وقع خطوات في الحديقة. أدخلتُه من باب الخدمة إلى غرفة الخدم. ذهب عند منتصف الليل، والشخير مستمر.

22 نيسان

لم يحدث أي تغيير في حال المريض. ارتفعت درجة حرارته قليلاً عن الأمس، وبفضل المنوّم نام نوماً هادئاً طوال الليل، على أن رأسه بدا يعاني من رؤى غائمة في النهار غالباً ما جعلته سريع الغضب. طلب الدكتور كوداما اثنتي عشرة ساعة من النوم يومياً على الأقل، ولكن من المحتمل أنه لم يستطع أن ينام نوماً حقيقياً أكثر من ست أو سبع ساعات، ويبقى بعض الوقت حيث يبدو أنه غافٍ ولكن لا يُعرف إن كان نائماً بالفعل. (ومن خلال خبرة عمرها سنوات طويلة، أعرف أنه عندما لا يشخر يكون نومه خفيفاً، وأنه يكون في حال وسيطة بين نصف الصحو ونصف النوم. إني أتساءل إن لم يكن شخيره الحالي تظاهراً؟) وبإذن من الدكتور صرنا نعطيه اللومينال مرتين يومياً: صباحاً ومساءً.

توشي ـ كو تذهب كل يوم في الساعة نفسها، وكذلك تفعل البايا. وعند الساعة العاشرةً يبدأ المريض شخيره، وعند الحادية عشرة أسمع وقع خطى في الحديقة.

23 نيسان

مر أسبوع على حدوث الشلل. عند التاسعة، وبعد الفطور، أخذت مدام كويكي الصينية إلى المطبخ، وبقينا وحيدَين، فاستفاد زوجي من ذلك وحرّك شفتيه ليقول: «مذك... رات! مذك... رات!» ولفظ الكلمة بطريقة أوضح من كلمة «بيف ـ تيك» بالأمس. «مذك... رات! مذك... كرات!» يبدو أن مسألة المذكرات هذه تشغله. «هل تريد أن تكتب مذكراتك؟ لن يكون ذلك أمراً معقولاً...» أومأ برأسه أن لا. «لا؟ أليست مذكراتك هي ما تريده؟» فقال: «مذكراتكِ أنتِ». «مذكراتي؟» أومأ برأسه أن نعم. «مذكراتكِ... ماذا تفعلين بها؟ قلتُ وأنا أتصنّع الجهل: «أنتَ تعلم جيداً أني لم أكتب مذكرات قطّ». ارتسم طيف ابتسامة حول فمه، وبدا وكأنه يقول برأسه: «نعم، أنا أعرف!» هذه أول مرة يبتسم فيها، ولكن ابتسامته كانت خفيفة جداً ولم أفهم مغزاها؛ إنه يبقى غامضاً.

استفادت مدام كويكي من اللحظة التي حملت فيها الصينية إلى المطبخ لكي تتناول فطورها في الصالون. وعادت إلى غرفة المريض حوالى العاشرة. ثم حقنته باللومينال بصمتٍ في ذراعه. سألها: «ما هذه الحقنة؟» لقد قلق المريض لأنها لم تعتد أن تحقنه صباحاً. أجابته الممرضة: «ما يزال ضغطك مرتفعاً قليلاً، وهذه الحقنة من أجل تخفيضه».

في الساعة الثالثة عشرة، زارنا الدكتور كوداما. وعند الخامسة عشرة ونصف صعدتُ إلى الطابق العلوي بعد أن أخذ المريض يشخر. وحين عدتُ عند الساعة السابعة عشر، كان الشخير قد توقّف. سألتُ مدام كويكي فأجابت: «لم ينم نوماً عميقاً، بدا أن لديه كل أنواع الأحلام، وحتى مع المنوّم لا

يستطيع أن ينام كما ينام ليلاً. سوف نعطيه الحقنة الثانية بعد العشاء».

عند الساعة الحادية عشرة تماماً سمعتُ وقع خطى في الحديقة...

24 نيسان

هذا هو ثاني يوم أحد بعد وقوع المرض. منذ الصباح أتى شخصان أو ثلاثة لتنسّم الأخبار، وذهب الجميع دون أن يدخلوا.

لم يأت الدكتور كوداما اليوم. والمريض ما يزال على حاله. وصلت توشي ـ كو نحو الساعة الخامسة عشرة. كانت تأتي عادةً في المساء وتبقى ساعتين أو ثلاثاً في غرفة والدها ثم تذهب، أما اليوم فقد أتت استثنائياً في وسط النهار، وجلست قرب أبيها الذي كان يشخر، ثم قالت لي وهي تنظر إليّ بإمعان: «فكرتُ بأن زيارات كثيرة قد تحدث هذا اليوم». حين لم أجبها أضافت: «ماما، أليس لديك حاجات لتشتريها؟ فأنتِ لم تتبضّعي منذ زمن طويل، ألا ترغبين في استنشاق بعض الهواء النقي؟ اليوم أحد وتستطيعين أن تنعمي بالحرية». هل وافتها هذه الفكرة من تلقاء نفسها؟ ألم يقل لها أن تقترح عليّ هذا الاقتراح؟

لو كانت لديه هذه الفكرة لقالها لي مساء أمس، إلّا أنه لم ينبس بكلمة واحدة. ولكن بما أنه كان من الصعب عليه أن يكلّمني مباشرة، ألم يجعل من توشي ـ كو وسيطة؟ أم أن توشي ـ كو تشكّ بنا بلا مبرّر؟

فجأة ارتسمت في خاطري صورة كيمورا منتظراً قدومي وقد افترسه نفادُ الصبر في بيت أوساكا. وماذا لو كانت هذه الصورة توافق الواقع بالمصادفة؟ تتبدى لي هذه الأحلام أمام

عينيّ، فأطردها وأنا أقول لنفسي إنها غير واقعية. كنتُ أطردها وأطردها، ولكن ما العمل إذا كان ينتظرني؟ كنتُ أسقط في الحلم. فكرت أن الوقت ينقصني اليوم لكي أذهب إلى هناك. ولم يكن لدي من عذر لأغادر البيت لزمن طويل بهذا الشكل. ليتنا كنا يوم الأحد القادم...

مع ذلك، خطرت لي فكرة أخرى، فأخبرتُ توشي ـ كو: «سوف أذهب وأتبضّع في نيشيكي. وسأعود بعد ساعة من الآن». ذهبتُ بُعيد الساعة الخامسة عشرة. ركبتُ سيارة أجرة ووصلتُ إلى نيشيكي سريعاً. ولكي أثبت أني ذهبتُ للتبضّع بالفعل، فقد اشتريتُ بعض الخضار من السوق، وبعض أرغفة النخالة، ثم ذهبتُ مشياً إلى سانجو تيراماشي. دخلتُ إلى ورّاقنا المعتاد واشتريتُ رزمتين من ورق الأرز وورقة سميكة لكي تكون غلافاً. قصصتُهما على قياس مذكراتي ثم لففتُهما بعناية لئلا تتجعّدان. ووضعتُ العلبة في أسفل حقيبة المؤن تحت الخضار.

ثم استقلّيت سيارة أجرة إلى الكواراماشي. يجب عليّ ألا أنسى أن أقول إني أتّصلتُ به من محل الخضار.

فأجاب: «لا، اليوم لم أخرج، وسأبقى في البيت». فهمتُ من نبرة صوته أنه كان ينتظر دعوة محتملة، ولكن الحديث لم يستغرق أكثر من دقيقتين أو ثلاثاً.

عدتُ إلى البيت بُعيد الساعة السادسة عشرة (ربما تجاوزتُ ساعةَ غيابي المتوقَّعة بقليل). خبأتُ أوراقي خلف حامل المظلات في المدخل، ناولتُ كيس المؤن للبايا في المطبخ. دخلتُ إلى الغرفة فبدا لي المريض نائماً، ولكنه لم يكن يشخر.

شُغلتُ بما كان قد قاله لي بالأمس: «أين مذكراتك؟». ماذا يعني ذلك؟ فحتى الآن بدا زوجي وكأنه يريد أن يتجاهل أني

أكتب مذكراتي، فلماذا تحدّث عنها بغتةً؟ لقد اختلط كل شيء في ذهنه، فهل نسي أن عليه ألا يعرف شيئاً؟ أم أنه رأى من العبث التظاهر بالجهل؟ اضطربتُ قليلاً قبل أن أجيبه: «أنا لاأكتب مذكراتي!» فقال لي بابتسامة غريبة: «أعرف». ألا يعني: «لا تتصنّعي البراءة!»؟

مهما يكن من أمر، فإن زوجي يريد أن يعرف إن كنتُ أواصل كتابة مذكراتي بعد مرضه. وفي حال أني أكملتُ، مما لاشك فيه أن يرتاح لأن يجعلني أقرأ عليه ما كتبتُه. يجب عليّ قبول أنه ترك هذه الكلمات تُفلِتُ منه لكي يحصل على موافقتي بأن يطلع عليها علناً، وذلك لأنه لم يعد يستطيع أن يقرأها سراً. يجب أن أفكّر بسرعة بما سأفعله إذا ما طلب ذلك مني مباشرةً. أستطيع أن أريه مذكراتي منذ شهر كانون الثاني وحتى 16 نيسان. ولكن عليه ألا يعرف أبداً ما كتبتُه بعد 17 نيسان. سأقول له ما يلي: «بما أنكَ قرأتَ هذا الدفتر خلسةً، فمن العبث أن أخبّئه عنك، وألا أريك إياه مرةً أخرى. ولكن إذا ألححتَ فتستطيع أن تراه بقدر ما تريد. وسترى أنه يقف في يوم 16. ولأنكَ سقطتَ مريضاً، فقد انشغلتُ عن الكتابة بالعناية بك، ثم لم يعد لدي ما أضيفه!». سأريه أن الصفحات بقيت بيضاء منذ 17 بحيث يطمئن قلبه.

قسمتُ دفتري إلى رزمتين، الأولى حتى يوم 16، والثانية بعد 17 واستبدلتُ هذه الصفحة الأخيرة بورقة الأرز التي اشتريتُها ثم غلّفتُ بها الدفتر بأكمله.

وبما أنني غبتُ في وقت القيلولة فقد صعدتُ إلى الطابق العلوي فور عودتي إلى البيت، عند الساعة السابعة عشرة، واسترحت لساعة ونصف، وعند الثامنة عشرة والنصف نزلتُ

وأنا أحمل دفتري الذي وضعته في درج صِوان الصالون.

غادرت توشي ـ كو عند الثامنة، بعد العشاء مباشرةً. وأرسلتُ مدام كويكي إلى الأعلى عند الساعة الثانية والعشرين، وبعد ساعة سمعتُ وقع خطى في الحديقة.

25 نيسان

عند منتصف الليل، ودّعتُه ثم أغلقتُ باب المطبخ. وطوال ساعة من الزمن ظللتُ أراقب الشخير في غرفة المريض. تأكّدتُ من أنه ينام نوماً عميقاً، ثم ذهبتُ إلى الصالون لكي أجلّد أوراق دفتري. وضعتُ في الصِوان الجزء الذي يصل إلى 16 نيسان، ثم حملتُ الجزء الذي يبدأ من 17 إلى الطابق العلوي حيث خبّأتُه على رف الكتب. استغرق هذا العمل ساعةً، فكانت الساعة قد تجاوزت الثانية بقليل عندما عدتُ إلى غرفة زوجي، وكان يواصل نومه.

عند الثالثة عشرة زيارة الدكتور كوداما. لا تغيّر في حال المريض. في هذا الوقت كان الضغط بين 180 و190. قال الدكتور وهو يلوي رأسه جانباً: «ليت هذا الضغط ينخفض قليلاً!». كالعادة، فالمريض لا يستطيع أن ينام بهدوء في النهار.

عند الساعة الحادية عشرة ليلاً سمعتُ الخطى في الحديقة.

28 نيسان

عند الحادية عشرة، وقع خطى...

29 نيسان

عند الحادية عشرة، وقع خطى...

30 نيسان

عند الثالثة عشرة، زارنا الدكتور كوداما، وقال لي: «بدءاً من الأسبوع القادم من المستحسن أن يراه البروفسور إيبا من جديد...».

عند الساعة الحادية عشرة،... خطى

الأول من أيار

إنه الأحد الثالث على بدء المرض. أتت توشي ـ كو، كما فعلت يوم الأحد السابق، بُعيد الرابعة عشرة. كنتُ قد توقّعتُ ذلك. فبعد أن بدت وقد تأكّدت من نوم أبيها قالت بصوت خافت: «اذهبي وتبضّعي، وستكون مناسبة للترويح عن النفس». ولمّا أجبتُها متردّدةً: «لستُ أدري ماذا أفعل». أضافت: «لا تقلقي على بابا فقد نام للتو! اذهبي يا ماما! فاليوم الحمام جاهز منذ الظهر في سيكيدن ـ شو. استفيدي من هذه الفرصة، واخطفي رجلك إلى هناك واستحمّي!». شككتُ في أمرٍ ما في كلامها، فقلتُ: «إذن سوف أخرج ساعةً أو ساعتين». ثم انطلقتُ حوالى الساعة الخامسة عشرة حاملة محفظة المؤن. ذهبتُ إلى سيكيدن ـ شو مباشرةً، وكانت مدام أوكادا غائبة. كان كيمورا وحيداً في الشقة المنفصلة. لقد اتصلت توشي ـ كو به لكي تقول له: «اليوم ذهبت مدام أوكادا إلى واكاياما، ولن تعود إلا في وقت متأخّر من المساء. أما أنا فسأذهب لعيادة المريض. فأعتذر لذلك، ولكن ألا تريد أن تحرس البيت لساعتين أو ثلاثاً؟ فأنا سأعود في المساء».

لم يكن الحمّام جاهزاً، ولكن كيمورا كان موجوداً... ها قد مر أسبوعان تقريباً منذ أن تمكّنا من الحديث بحميمية، ومع ذلك فقد كان بالي مشغولاً.

تركتُه وحيداً وغادرتُ سيكيدن ـ شو عند الساعة السابعة عشرة. كان الوقت ينقصني: ألن يكون المريض قد استيقظ؟ خشيتُ ذلك، فسارعتُ إلى شراء بعض الحاجات من السوق المجاورة ثم عدت. بادرتني توشي ـ كو: «ها أنتِ إذن، لم تطيلي غيابك. لقد نام أبي نوماً هنيئاً اليوم، أكثر من ثلاث ساعات!» وفي الواقع كان يشخر شخيراً رهيباً. قالت مدام كويكي: «لقد طلبتُ من الآنسة الإذن بالاستحمام». كان وجهها لامعاً تماماً من الحمّام الذي أخذته للتو.

فكرتُ وقفزتُ من المفاجأة: «ها قد ذهبت مدام كويكي إلى الحمّام العمومي». خطر ببالي أن توشي ـ كو قد نصبت لي فخاً. في الواقع، منذ أن مرض زوجي، لم نسخّن الحمّام أكثر من مرتين أو ثلاثاً. وكنا: مدام كويكي والبايا وأنا نتعاقب الذهاب نهاراً إلى الحمّام العمومي كل يومين أو ثلاثة. وكان اليوم دور الممرضة. لم يكن من المستغرب إذن أن تذهب إليه. ألم تتعمّد توشي ـ كو أن تبقى وحيدةً مع المريض عندما أرسلتني إلى الخارج؟ كان عليّ أن أحترس من حدوث ذلك ذات يوم.

ومع ذلك كان عليّ أن أعرف أن مدام كويكي غابت في الحمام ما يقارب الساعة. ولكن لدى تذكّري كلمات توشي ـ كو: «الحمام جاهز في سيكيدن ـ شو» خفق قلبي وضاع رشدي، وقلتُ لنفسي: «لقد وقع المحذور!». تركتُ المريض في عهدة المرأتين ثم صعدت إلى الطابق العلوي وأنا أقول: «سوف أقيل قليلاً».

سارعتُ إلى إخراج دفتر مذكراتي من مخبئه في المكتبة وتفحّصتُه. كان يجب عليّ أن أختمه بورق لاصق، ولكني لم أصل في حذري إلى هذا الحد. وكان من المستحيل اكتشاف الدليل على أن أحداً ما قد قرأه خلسةً. قلتُ لنفسي لكي أهدّئ من

غلوائي: «لا، إن شيطان الشك هو الذي يتحرّك في رأسك». وقلتُ لنفسي أيضاً «إني أتعذّب عبثاً. من كان سيعرف أني قسّمتُ دفتر مذكراتي إلى قسمين، وأني خبّأتُ الجزء الثاني في المكتبة في الطابق العلوي؟» هذا ما منحنى الارتياح الأولي، ولكني لم أنتهِ بعد.

عند الثامنة عادت توشي ـ كو إلى سيكيدن ـ شو، وفي تلك اللحظة ساورتني شكوك جديدة. ذهبتُ إلى المطبخ واستجوبتُ الخادمة العجوز: «هل صعد أحدٌ إلى المكتب في الطابق العلوي، عصراً، أثناء غيابي؟» وأتاني هذا الجواب غير المنتظر: «آه، نعم، لقد صعدت الآنسة...». ثم روت لي أنه بعد ذهابي بنحو ربع ساعة، ذهبت مدام كويكي إلى الحمام، وبعد ذلك بقليل صعدت توشي ـ كو إلى الطابق العلوي، ولكنها لم تلبث أن نزلت إلى غرفة المريض بعد دقيقتين أو ثلاث. ثم أضافت: «بدا لي أن الآنسة تحدّثت مع الأستاذ!». فقلتُ لها: «ولكن المريض كان يشخر!»، فأجابت: «لقد كفّ عن الشخير فجأةً. وبعد أن تحدّثت قليلاً مع الأستاذ صعدت ثانيةً إلى الطابق العلوي ونزلت من جديد سريعاً. ثم عادت مدام كويكي من الحمام». نبّهتُها إلى أني عندما عدتُ في المساء، كان الأستاذ ما يزال يشخر، فقالت: «أثناء غياب سيدتي كفّ عن الشخير، ثم عاد إليه قبل عودة سيدتي بقليل».

لا ريب في أن شيطان الشك الذي يخيّم في داخلي كان على حق. وفهمتُ أن مخاوفي كانت محقة. ومع ذلك ثمة شيء لم أتمكّن من فهمه.

إذا استعدتُ ما قامت به توشي ـ كو اليوم: عند الخامسة عشرة، اختلقت ذريعةً لكي تجعلني أذهب؛ ثم أرسلت الممرضة لتستحم؛ ثم هل صحا المريض وتكلّم من تلقاء نفسه مع توشي ـ

كو أم هي التي دفعته إلى ذلك؟ بقيت هذه النقطة غامضة. هل زوجي هو الذي أخبرها أن مذكراتي موجودة في صِوان الصالون، وجعلها تبحث عنها وتأتي بها إلى طاولة سريره؟ سيكون قد أراها أن المذكرات تتوقّف عند 16 نيسان، ثم قال لها لا بد أن تتمتها، بدءاً من 17، موجودة في مكان ما، ولا بدّ أنه يرغب في قراءتها، وجعلها تبحث عنها. فذهبت إلى الطابق العلوي واكتشفت مكانها في المكتبة. ثم أنزلتها إلى غرفة المريض وأرتْه إياها. هل قرأتها له، ثم أعادتها إلى الطابق العلوي ووضعتها في مكانها؟ ثم عادت مدام كويكي فتظاهر المريض بالنوم بهدوء، وأنا عدتُ بُعيد الساعة السابعة عشرة.

يمكن أن تكون هذه الأحداث قد حدثت هكذا، ولكن كان من الصعب عليّ أن أتخيّل أن شيئاً ما لم يحدث أثناء الساعتين أو الثلاث ساعات التي غبتها عن البيت. وبهذه المناسبة تذكرتُ أني خرجتُ يوم الأحد السابق أيضاً (يوم 24 نيسان) بإيحاء من توشي ـ كو. إذن هي لم تبدأ عملها اليوم؟ وفي صباح السبت 23، عندما كنتُ وحيدةً مع المريض ألقى هذه الكلمات: «مذك... رات... مذك... رات...» وأفهمني أنه يرغب في قراءة مذكراتي. فمن يستطيع أن يقول أن المريض لم يهمس الكلمة نفسها عصرَ يوم 24، وأثناء غيابي، لتوشي ـ كو ولمدام كويكي (ربما ذهبت هذه إلى الحمام، ولكن البابا نسيت ذلك). ولما رأى أني لم أهتم بطلبه، لجأ إلى توشي ـ كو. كل ذلك ممكن. فأنا لا أذكر أبداً أني تحدّثتُ عن مذكراتي أمام توشي ـ كو. ومع ذلك يمكنها أن تكون قد علمت بوجودها عن طريق كيمورا، وأن تكون قد توقّعت وجودها في مناسبات عديدة. بالإضافة إلى ذلك كانت ستفهم مباشرةً، وبمجرد أن يهمس لها المريض بالأمر. من الممكن أنه قال لها وهو يشير إلى الصالون بيده: «صِوان»، فذهبت إلى

الصالون وبحثت في الأدراج. هي تعرف مسبقاً أن مذكراتي غير موجودة فيه: «من المؤكد أنها في الطابق العلوي»، فتذهب إلى هناك لتبحث عنها. أتصور أن الأمر حدث هكذا، على أية حال هذا محتمل جداً. إنها مطّلعة على ما حدث يوم الأحد 17، وتعرف أني قسمتُ الدفتر إلى قسمين، وأن أولهما في الطابق العلوي، وثانيهما في الطابق الأرضي. إذن لا شيء يمكن القيام به.

إن ما أزعجني هو معرفتي ما يجب أن أفعله بمذكراتي إذا ما صحّت افتراضاتي. فما إن بدأتها حتى شقّ عليّ أن أقطّعها لأن مصاعب حدثت. ومن ناحية أخرى يجب أن أتجنّب أن تُقرأ خلسةً.

بدءاً من اليوم سوف أكفّ عن الكتابة في الطابق العلوي أثناء ساعة القيلولة. سأكتب مذكراتي ليلاً عندما يكون المريض ومدام كويكي نائمين، ثم سأخبّئها في مكان آمن.

9 حزيران

لقد أهملتُ مذكراتي طويلاً. فهي توقّفت عند الأول من الشهر الماضي، أي عشية اليوم الذي تعرّض فيه زوجي لنوبة ثانية. وخلال هذه المدة كلها، أي خلال ثمانية وثلاثين يوماً، لم أكتب حرفاً واحداً. ليس لأني غرقت في الواجبات التي تراكمت منذ وفاته المفاجئة فحسب، بل إن غيابه أدى إلى انتزاع حب الكتابة مني، ولأن الفريق الخصم لم يعد موجوداً، فقدتُ كل حافز. لقد تراجعت الرغبة الآن أكثر، وكذلك ربما لن أكتب بعد الآن مذكراتي. على أية حال من الأفضل أن أترك مسألةَ معرفةِ ما إذا كنتُ سأواصل كتابة مذكراتي أم لا معلّقةً. مع ذلك لا أودّ أن أقطع قطعاً مفاجئاً مذكراتٍ بدأتُها منذ الأول من كانون الثاني هذا

العام، طوال مئة وواحد وعشرين يوماً بلا توقف، وأرى أن من الأفضل لي أن أمنحها خاتمة مناسبة. أعتقد أن هذا ضروري لشكل المذكرات. ولن يكون بلا جدوى أن أراجع مرةً أخرى عبارات الصراع الذي بدأناه، المرحوم وأنا، خلال حياتنا الحميمية.

إذا ما قارنت بين المذكرات التي كتبها زوجي، ولاسيما الجزء الذي يبدأ في الأول من كانون الثاني، ومذكراتي أنا، فإننا نلمس آثار هذا الصراع، لكن بما أنني كنتُ أخجل أن أكتب أثناء حياته هذا الكم من التفاصيل، فسوف أضيف بعضها في نهاية هذه المذكرات وسوف ترتبط بما كتبتُه سابقاً.

كما أسلفتُ، لقد توفي زوجي فجأةً. لا أستطيع أن أحدّد الساعة بالضبط نتيجة ظروف سأعود إليها لاحقاً، ولكن يجب أن تكون الوفاة قد حدثت حوالى الساعة الثالثة من صباح يوم 2 أيار. في تلك اللحظة كانت الممرضة، مدام كويكي، نائمة في الطابق الأعلى، وكانت توشي ـ كو قد عادت إلى سيكيدن ـ شو؛ وكنتُ أسهر على المريض بمفردي. لمّا رأيتُه يشخر بسلام حوالى الساعة الثانية صباحاً خرجتُ بصمتٍ من غرفته ودخلتُ إلى الصالون. وكتبتُ ما قمتُ به منذ مساء 30 نيسان حتى الأول من أيار. كتبتُ الأحداث في الأيام السابقة حتى الليلة السابقة، أي منذ بداية المرض، حتى 30 نيسان، مستفيدةً كل يوم من ساعة القيلولة؛ أردتُ أن أكتب ما حدث في اليوم السابق منذ بعد الظهر، ولكن عندما تبينّ لي أنه في يوم الأحد الأول من أيار كانت توشي ـ كو وزوجي قد قرآ الجزء الثاني من مذكراتي، قرّرتُ ألا أكتب بعد ذلك في الساعة المعتادة، وأن أتناول ريشتي في منتصف الليل مختارةً اللحظةَ المناسبة، ثم أن أخبّئ دفتري في مكان آمن. (ومع ذلك، لم أجده مباشرةً، فتركتُ دفتري مؤقتاً في

مخبئه القديم). في ذلك المساء انتظرتُ ذهابَ توشي ـ كو والبايا؛ وقبيل أن تذهب مدام كويكي للنوم، صعدتُ لأجلب مذكراتي، خبّأتُها في صدري ونزلت. بعد لحظة صعدت الممرضة. ساءني أني لم أكن قد وجدتُ بعد مخبأً مناسباً. قلتُ لنفسي إنه ما يزال لدي الوقت، الليل بطوله، لإيجاد هذا المخبأ. وفي أسوأ الأحوال فكرتُ أن أنتزع خشبة من أسفل خزانة الصالون وأدسّ الدفتر فيها.

بُعيد الساعة الثانية صباحاً، صباح الثاني من أيار، مررتُ في الصالون، أخرجتُ الدفتر من صدري، وكنتُ مستغرقةً في كتابة الأحداث منذ 30 أيار حتى المساء. فجأةً أدركتُ أن شخير المريض، الذي بقيتُ أسمعه حتى تلك اللحظة، قد توقّف. ولم يكن الصالون والغرفة مفصولين إلا بحاجز رقيق. كنتُ قد وجّهتُ انتباهي كله إلى ما أكتبه، ولم أتنبّه إلى توقّف الصوت. وقد كتبتُ: «بدءاً من اليوم، سأكفّ عن الكتابة في الطابق الأعلى في ساعة القيلولة، وسأكتب مذكراتي ليلاً، عندما يكون المريض ومدام كويكي نائمَين، ثم سأضع دفتري في مأمن...». في تلك اللحظة، استرعي انتباهي ووضعتُ الريشة لكي أصيخ السمع إلى جهة الغرفة المجاورة. ولكني لم أسمع أي صوت. وضعتُ ما كتبتُه على الطاولة ودخلتُ إلى غرفة المريض، كان راقداً على ظهره، بهدوء، ووجهه متّجه إلى السقف، ويبدو نائماً. (بعد مرضه نزعتُ له نظارته، ولم يضعها مرةً واحدةً منذ تلك اللحظة. بصورة عامة، كان يرقد على ظهره، فصرتُ معتادةً على رؤيته بلا نظارة). قلتُ لنفسي: «يبدو نائماً». في الواقع كان المصباح مغطّى بقطعة قماش، ولم يكن وجه المريض تحت النور مباشرةً، فكان من الصعب رؤيته بوضوح. جلستُ على كرسي لأستردّ أنفاسي، وعمدتُ إلى إمعان النظر في وجه المريض عبر نصف

الظلام المخيّم على الغرفة... ألفيتُ شيئاً غير عادي في هذا الهدوء المطبق. رفعتُ قطعت القماش التي تغطي المصباح لكي أتبينّ وجهه في النور الساطع، فرأيتُ عينيه نصف مغمضتين، جامدتين، متجهتين نحو نقطةٍ ما في السقف فوق السرير. قلتُ لنفسي: «لقد مات!» ثم دنوتُ منه، ولمستُ يده فكانت باردة. كانت الساعة الجدارية الصغيرة فوق السرير تشير إلى الثالثة وسبع دقائق. أستطيع إذن القول إنه توفّي بين الساعة الثانية والثالثة وسبع دقائق، ويمكن أن أعتقد أنه انطفأ وهو نائم، بلا ألم، كشخص خوّاف يتأمّل بهلعٍ قاعَ هاويةٍ. نظرتُ إليه بضع دقائق، وأنا أحبس أنفاسي، إلى هذا الوجه عديم النظارة، عندما عادت إلى ذاكرتي فجأةً ذكرى ليلة سفرنا إلى شهر العسل. ثم أعدتُ القماش حول المصباح.

أعلن لي كلٌّ من البروفسور إيبا والدكتور كوداما أنهما لم يتوقّعا أن يُصاب المريض بنزيف دماغي بهذه السرعة. في الماضي، أي حتى ما يقارب السنوات العشر، كان من الشائع أن تحدث النوبة الثانية بعد الأولى بسبع أو ثماني سنوات، وأنها قاتلة بصورة عامة. أما في أيامنا هذه، وبفضل تقدم العلم الطبي، فإن هذه الحدود يتم تجاوزها. هناك أشخاص أصيبوا بنوبة أولى ولم يصابوا بثانية أبداً. وثمة آخرون أصيبوا بنوبتين ثم تعافوا تماماً. وثمة مرضى أصيبوا مرتين أو ثلاثاً، وعادوا إلى صحتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة.

«لقد كان زوجك لامبالياً بصحته بطريقة يندر وجودها عند شخص مثقف، ولا يبدو أنه أعار اهتماماً كبيراً لتحذيرات الأطباء؛ كذلك لا يمكن إهمال الخوف من النكسة؛ مع ذلك لم نكن نظن أنها ستأتي بهذه السرعة؛ إذ لما يبلغ بعد الستين من عمره.

وبينما كنا نظن أنه سيستعيد صحته ببطء، وأنه خلال عدة سنوات، ربما أكثر من عشر سنوات، يستطيع أن يستعيد نشاطاته، إلا أننا فوجئنا بهذه النهاية». تلك كانت كلمات البروفسور إيبا والدكتور كوداما. ترى إلى أي مدى كانا صادقَين؟ لستُ أدري. إن أي طبيب، ومهما كان شهيراً، لايستطيع توقّع مدة حياة إنسان. ولأتكلّم بصراحة، ما كنتُ أتوقّعه حدث في الوقت المتوقّع، ولم أشعر بمفاجأةٍ خاصة. من المؤكد أن المرء يخطئ بتوقّعات كهذه، ولكن في حالتنا، أنا وزوجي، صدقت توقعاتي. وأعتقد أن ابنتي توشي ـ كو فكرت مثلي.

حسنُ، سوف أقرأ بالتناوب مذكرات زوجي ومذكراتي، وأضيئهما بالمقارنة بينهما. الآن، أريد أن أرى تسلسل الأحداث، وكيف تطوّرت لكي تؤدّي إلى هذا الفراق الأبدي. يبدو لي أن زوجي قد كتب مذكراته منذ نحو عشر سنوات، وأنه بدأ قبل زواجنا. ومن أجل الحكم على علاقاتنا، من المفضّل قراءتها منذ الفترة الأقدم، لكنني غير قادرة على التصدّي لمهمة بهذا الكبر. أنا أعرف أن في مكتبه، في الطابق العلوي، وعلى أعلى رف من المكتبة، الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالسلم، عدداً كبيراً من الدفاتر قد تكدّس في الغبار، ولكني لا أملك الصبر على الغوص في هذه الكتلة من الأرشيف.

وكما كتب زوجي بنفسه، فقد تحاشى حتى السنة الماضية، أن يتكلّم في مذكراته عن علاقاتنا في غرفة النوم. لكن بدءاً من هذه السنة، في شهر كانون الثاني، عبّر عن مشاعره بلا تحفّظ، أو بالأحرى كتبها لغاية وحيدة هي التحدّث عنها؛ وفي الفترة نفسها بدأتُ كتابة مذكراتي بروحٍ من الصراع. إذن يكفي مقارنة

كتاباته مع كتاباتي منذ ذلك التاريخ، وتكميل كل منهما بالآخر حيث يوجد نواقص، لكي نفهم بأية طريقة أحبّ كلٌ منا الآخر، ومنح نفسه كلياً للآخر، وخُدع بالآخر، وكيف سقطنا في أفخاخ نصبها كلُ منا للآخر، إلى أن أركع أحدنا الآخر، وأعتقد أنه من غير النافع العودة في مذكراته إلى أبعد من ذلك. كتب عني في الأول من كانون الثاني: «هي بطبيعتها تهوى السرّية والتكتم، وحتى الأمور التي تعرفها تتظاهر بأنها تجهلها. وما في قلبها لا يصعد بسهولة إلى شفتيها». هكذا وصف طبيعتي؛ وأنا لا أعترض على دقة تصويري. بغضّ النظر عن كل شيء، لقد كان حسّه السليم متفوّقاً على حسّي بقدرٍ كبير، وكذلك فإن الكذب الذي يمكن أن يُصادَف في مذكراته قليل جداً. مع ذلك لا يمكن القول إنها خالية كلياً من الكذب. فقد كتب على سبيل المثال: «أنا واثق من أنها تعلم أني أخفي هذا الدفتر في أحد أدراج مكتبي». وكتب أيضاً: «فإني لا أصدق بسهولة أنها تسرق مني هذه المذكرات لتقرأها في الخفاء، ولكن بالمقابل، لديّ أسبابي التي تجعلني أذهب إلى هذا الظن». ومع ذلك كتب: «بدءاً من هذه السنة، لن أخشى أبداً أن تقرأني». لكنه يضيف فيما بعد: «حتى إني كنتُ أتوقّع أن أكون كذلك سرياً». ولقد اقتنعتُ أن هذا كله كان صادقاً.

في صباح الرابع من كانون الثاني، ترك عامداً مفتاح درجه أمام النرجسة التي كانت تزيّن المكتبة؛ وكان ذلك دليلاً لا يُدحض على أنه كان راغباً في أن أقرأ مذكراته. فكانت تلك حيلة مكشوفة، لأن عليّ أن أعترف الآن أني كنتُ أقرأ مذكراته خلسةً منذ زمن طويل: «أنا لا أقرأ أبداً مذكرات زوجي... ولا أريد أن أتخطّى الحدود التي وضعتُها بنفسي لنفسي وأنا ألج إلى أسرار نفس زوجي. وكما أنني لا أحب أن أُميط للآخرين اللثام عما

يعتمل في نفسي، فإني لستُ فضولية لأعرف ما في أعماق نفوس الآخرين». إذا كان عليّ أن أقول الحقيقة هنا، فإنها كذب. صحيح أني لا أحبّ أن أري الآخرين ما بنفسي، ولكني فضولية لمعرفة ما بنفوس الآخرين. ومنذ اليوم التالي لزواجي اعتدتُ أن أتصفّح دفاتره بين الفينة والأخرى، فأنا أعرف منذ أمد بعيد أنه «كان يخبّئها ويقفل عليها بمفتاح درج الطاولة الصغيرة، وأنه كان يخبّئ ذلك المفتاح، تارةً بين كتب مكتبته الكثيرة، وأحياناً تحت السجادة». ولكن عندما أضفتُ أني: «لم أفتح هذا الدفتر قطّ لكي أقرأ فحواه» لم يكن كلامي صحيحاً.

مع ذلك، حتى الآن، لم يتطرّق كثيراً إلى المسائل المتعلّقة بحياتنا الزوجية الحميمية، بل كان يتكلّم عن مسائل علمية عويصة لا أهمية لها بالنسبة إلي. لم يحدث معي قطّ أني قرأتها بدأب. وبينما كنتُ أقلب الصفحات عرضاً كنتُ أشعر برضى خفيف لأسراري، لكن ذلك لم يكن ليستمر طويلاً. فمع بداية كانون الثاني، وعندما قرّر ألا يخشى بعد الآن الخوض في هذه المسائل، من الطبيعي أني شعرتُ بالانجذاب إلى ما يكتبه. ففي عصر يوم 2 كانون الثاني، وبينما ذهب للتنزّه، لمستُ تغيّراً في أسلوبه. وإن كنتُ قد أخفيتُ عن زوجي أني كنتُ أقرأ مذكراته خلسةً، فلم يكن ذلك لأني بطبيعتي «أتظاهر بجهل حتى الأمور التي أعرفها» فحسب، بل لأني كنتُ أعرف أني إذ أتظاهر بأني لا أقرأ خلسةً، فقد كنتُ أستجيب لرغبات زوجي.

عندما كتب: «إيكو ـ كو، يازوجتي العزيزة التي أحب...» و«قبل كل شيء، يجب أن أعترف أني مدلّهٌ بزوجتي...» و«ليس هذا كذباً...»، فقد كان يقول الحقيقة، ولا يساورني في ذلك أدنى شك. لكن يجب الاعتراف أيضاً أني أنا أيضاً أحببتُه في البداية

من كل قلبي. وليس أقلّ صحةً من أن «مساء أول ليلة من شهر العسل، وهي تعود إلى زمن غابر... عندما رأيتُه ينزع نظارة حسر البصر، أحسست ببرد يتغلغل في ظهري». وأني «عندما أفكر فيه، أرى أني اخترتُ زوجاً لا تتفق طباعه مع طباعي بأية حال من الأحوال». صحيحٌ أني، بين وقت وآخر، عندما «أنظر إلى وجهه، أشعر بالغثيان رغماً عني»، ولكن هذا لا يعني أني لم أحبّه.

«ولدتُ في أسرة عريقة من كيوتو، بقيت وفيةً للعادات القديمة، وترعرعتُ في وسط إقطاعي... وتزوّجتُ زواجاً لا على التعيين، كما أمرني أبواي... وأفهماني أن الزواج هكذا».

سواء أعجبني أم لم يعجبني، لم يبقَ لي إلا أن أحبّه. «من ناحية، هي تخلَّقتْ بأخلاق صارت بالية في أيامنا هذه، وتميل في بعض الأحوال إلى المباهاة بذلك». كلما انتابني الاشمئزاز، أحكم على نفسي بأني غير معذورة، وبأني أهلٌ للاحتقار لأني أغذّي هذه المشاعر نحو زوجي، ونحو أبويّ المرحومَين. وكلّما تملّكتني هذه المشاعر، كلّما حاولتُ أن أقاومها وأن أحبّه، وتمكّنتُ من ذلك. وإذا ما سئلتُ: لماذا؟ فذلك لأني ولدتُ مع طبع شهواني، فلا أستطيع مهما فعلتُ أن أعيش عيشةً مختلفة. وإذا كنتُ أشعر الآن بالاستياء نحو زوجي فذلك لأنه لم يكن يلبّي رغباتي المتأجّجة، ولكن من ناحية أخرى، بدلاً من أن ألومه على نقص قدراته، فإني خجلةٌ من شهوانيتي المفرطة. وعلى الرغم من استيائي من ضعف قوته، فإن تعلّقي به لم يضعف، بل لقد صار أقوى. بماذا كان يفكّر زوجي؟ لستُ أدري، ولكنه فتح عينيّ بدءاً من كانون الثاني. ماذا كان السبب الرئيسي الذي دفعه إلى أن يكتب: «منذ الآن، قرّرتُ أن أدوّن في هذه المذكرات أشياء

لا أجرؤ حتى الآن على التصريح بها إليها» لا أعرفها جيداً، وأضاف: «أنا أكتب ما أكتبه الآن لأني لم أعد أطيق ألا يكون لي مع زوجتي أحاديث غرامية مباشرة». لقد وافته الرغبة في أن يكتب حول هذه الموضوعات بسبب «تحفّظي المفرط» و«وحشمتي المدّعاة» و«همّي الخبيث بمراعاة ما هو مناسب للمرأة» و«حبّي المصطنع لما هو راقٍ». أكان هذا سببه الوحيد؟ أعتقد أن أسبابه كانت أعمق من ذلك، ومع ذلك كان من المستغرب أن أياً من أسبابه لم يظهر في مذكراته. ربما لم يكن يفهم أيَّ تيار من تيارات روحه كان يطيع لكي يكتب مذكرات كهذه.

مهما يكن من أمر، فقد عرفتُ لأول مرة أني أمتلك «فرجاً قَلّ نظيره عند النساء»، و«لو أنها بيعت في الماضي في حي للملذات كحي «شيمابارا»... لتمتّعت بشهرة فائقة، ولتدفّق الزبائن عليها أيّما تدفّق، ولتخاصموا على ملذاتها». لكنه أضاف: «ربما من الأفضل ألا تعرف ذلك. فإذا عرفت ذلك قد يترتب على معرفتها نتائج مقلقة بالنسبة إليّ». ورغم هذا، لماذا لم يخشَ هذه التبعات؟ «يكفيني أن أفكّر بروعة مفاتنها لكي تثور غيرتي. تُرى ماذا سيحصل إذا عرف رجل سواي هذه المفاتن...؟». كان ينتابه هذا القلق، ومع ذلك كان يتحدّث عنه في مذكراته دون أن يخفيه. سأستخلص من هذا النتيجةَ التاليةَ: ألم يكن يتوقّع أن أقرأ هذا خلسةً، وأنا سأكون هكذا مُثارةً بأفعال تثير غيرته؟ لقد ثبتت هذه الفرضية بوضوح فيما كتبه يوم 13 كانون الثاني: «ألستُ غارقاً في متعة غيرتي؟ فعندما أشعر بالغيرة يحملني العشق أكثر. وهكذا بمعنى ما تبدو الغيرة ضرورية لي، إنها تريحني». لقد كانت هذه الفكرة جليةً في مذكراته يوم الأول من كانون الثاني.

كتبتُ في 8 كانون الثاني: «فمن ناحية، أنا أكره زوجي من كل قلبي، ومن ناحية أخرى، أنا متيمّة به. طبعانا لا يتفقان...» وأضفتُ هكذا: «ومع ذلك، لا يمكنني أن أحبّ رجلاً آخر» و«مبدأ قديم من الشرف متجذّر بداخلي منذ ولادتي، ولا أستطيع مخالفته. مداعباته الملحاحة وغير العادية تضايقني إلى أقصى الحدود، ولكن من الواضح أنه يحبّني حتى الجنون، وأعتقد أن عليّ أن أدفع ثمن ذلك». كيف تمكّنتُ من ذكر زوجي بالسوء، ولو كان ذلك بصورة عابرة، وأنا التي تلقّيتُ من أبويّ المرحومين تربية كونفوشيوسية صارمة؟ يعود ذلك إلى أني شعرتُ خلال عشرين سنةً أني مرتبطة بمفاهيم أخلاق قديمة تجعلني أقمع بقسوة مشاعرَ الاستياء التي تنتابني نحو زوجي، ولكن قبل كل شيء، كنتُ قد بدأتُ أفهم فهماً غامضاً أن الوسيلة الوحيدة لجعله سعيداً هي إثارة غيرته. فكان إسعاد المرأة لزوجها يتماشى مع رمز «المرأة الفاضلة».

ومع ذلك، رغم أني قلتُ: «أنا أكره زوجي من كل قلبي» وأن «طبعانا لا يتفقان...»، أضفت مباشرةً، وكما لو أن ذلك لم يكن كافياً، أن «مخالفته كانت تناقض المبادئ التي تربّيتُ عليها»، فإن كل هذه التصريحات كان ينقصها الإقناع. ربما كنتُ قد بدأتُ أحب كيمورا منذ ذلك الوقت. لم أدع تلك الكلمات تُفلت مني إلا بحياء، وباللجوء إلى حيل طويلة، من أجل تأجيج غيرة زوجي بحيث أستهلك كل الوسائل في أن أبقى مخلصةً له.

بتاريخ 13، قرأتُ في مذكّراته: «بفضل غيرتي من كيمورا استطعتُ أن أروي زوجتي. وتوصّلتُ إلى الاعتراف بأن وجود هذا الشخص محرّضٌ أساسٌ من أجل استمرارية الحياة الجنسية

في بيتنا. ولكن ما يجب أن أنبّه زوجتي إليه (هل ثمة ضرورة لقول ذلك؟) هو أن ذلك يجب أن يبقى في حدود العلاج المحرّض. يمكن لزوجتي أن تذهب إلى النقطة الحرجة، وكلما كانت تلك النقطة حرجة كلما كان أفضل. أريد أن أصبح غيوراً حتى الجنون، بل يمكنها أن تصل إلى النقطة التي يمكنني أن أشكّ عندها بأنها تجاوزت حدودها. بل إني أرغب في أن تذهب إلى أبعد من ذلك». وبعد أن قرأت هذه الأسطر، فكرتُ بكيمورا باهتمام أكبر.

وعندما كتب زوجي بتاريخ 7 كانون الثاني: «ربما لا تنتبه زوجتي لهذا الأمر، وتقول إنها تنوي أن تراقب الشابّين، ولكن في الواقع، هي تتصرّف وكأنها تحب كيمورا» فكرت: «هذا غير مناسب. حتى لو أن زوجي كان يثيرني بهذه الطريقة، فأنا لستُ امرأةً تحيد عن الطريق القويم». هكذا كانت ردة فعلي ولكن عندما قرأتُ: «كلما صارت النقطة حرجة، كان ذلك أفضل» حدث تحوّل كبير في نفسي. هل أثارني زوجي بعد أن رأى أني أبدو وكأني أحب كيمورا؟ أم إنه فكّر بأن يوجِد شيئاً من لاشيء عندما يثيرني؟ لستُ أدري.

وحتى بعد أن فهمتُ أن فضولي يدفعني نحو كيمورا فقد أخطأتُ، أنا نفسي، لبعض الوقت عندما قلتُ إني أجتهد في أن أكون هكذا من أجل زوجي، وضد إرادتي. لقد استخدمتُ كلمة «إرادة» لأني وضعتُ في رأسي آنذاك أني، لكي أروي زوجي، كان عليّ أن أُبدي قليلاً من الفضول تجاه رجال غيره. إذا كان عليّ أن أشرح حالتي النفسية بتاريخ 28 كانون الثاني عندما فقدتُ وعيي أولَ مرة، هل سأقول إن الشعور الذي انتابني نحو كيمورا له علاقة ما مع سعادة زوجي؟ أم أنه لم يكن يعني أحداً سواي؟ بدءاً من ذلك المساء بدأت الحدود بين المجالين تمّحي

في خاطري. كنتُ أريد أن أخنق هذا الألم بداخلي. بدءاً من ذلك المساء، نمتُ طوال يوم 29 وحتى صباح 30. وقد كتب زوجي عن هذين اليومين: «وأنا أفكر بطبيعتها، تساءلتُ إن كانت نائمةً حقاً أم أنها كانت تتظاهر بالنوم. لقد كان ذلك مثيراً للشك». ليس صحيحاً أني كنتُ أتظاهر بالنوم، ولكن لا أستطيع أن أقول إني فقدتُ وعيي فقداً كاملاً. الحالة بين الصحو والنوم التي وجدتُ نفسي فيها كانت تناسب بصورة عامة الحالة التي وصفتُها في مذكراتي. ولكن من الضروري أن أضيف شيئاً ما على هذه الملاحظة لزوجي: «لقد أطلقت اسم كيمورا، وكأنها في الحلم». ثم أضاف: «هل كانت تهذي أم تتظاهر بالهذيان؟». يجب أن أقول إن الفرضيتين كانتا تحويان جزءاً من الحقيقة. «في هذه الحالة من الذهول...»، «كنتُ أحلم بأني موجودة بين ذراعي كيمورا»، وصحيح أنه في ذلك الوقت، وفي قاعِ وعيٍ غائم، تمتمتُ: «كيمورا»، وأنا أفكّر: «أنا أقول كلاماً مخيفاً!» فمن ناحية كان الخجل يجلّلني لأني تلفّظتُ بهذا الاسم أمام زوجي، ومن ناحية أخرى، كنتُ أشعر ببعض الرضا عندما عرفت أنه سمعه.

وحالة السهرة التالية، سهرة 30، مختلفة. لقد كتب زوجي: «وهذا المساء أيضاً، أطلقت شفتاها اسم «كيمورا»، هل كانت فريسة للحلم نفسه؟ وللهلوسة نفسها؟ وللظروف نفسها؟». في ذلك المساء، وبنيّةٍ معينة، تظاهرتُ بأني نائمة وتلفّظتُ بكلمات غير منسجمة. مع ذلك ليس بالإمكان القول إني كنتُ أتبع مخطَّطاً معدّاً بوضوح. بمعنى ما، أعتقد أني كنتُ نصف نائمة، ولكن وأنا واعية لذلك تماماً، واستفدتُ من هذا الانطباع لكي أشلّ وعيي. وعندما كان زوجي يتساءل: «هل يجب أن أستنتج من ذلك أنها تسخر مني؟» ربما لم يكن بعيداً جداً عن الحقيقة.

وبكلماتي غير المنسجمة: «ليت زوجي يجمعنا!» مما لاشك فيه أني كنتُ أعبّر عن أمنيات، ولكي أفهِمه إياها تلفّظت بهذه الكلمات.

في يوم 14 أخبر كيمورا زوجي بوجود ذلك الجهاز المسمّى بولارويد. وكتب زوجي: «ولكن كيف عرف كيمورا أني مستمتع بسماعه وهو يتكلّم عن تلك الكاميرا؟ هذا لغز بالنسبة إليّ» وهو لغز بالنسبة إلي أنا أيضاً. لم أكن أفهم الرغبة التي كانت تدفعه لالتقاط صور لجسدي العاري. لو أني شككتُ في ذلك لحظةً واحدة لما كان لدي الوقت لأتحدّث في ذلك إلى كيمورا. كنتُ في تلك الآونة ثملةً ـ ميتة إلى درجة أن كيمورا كان يحملني بين ذراعيه، ولكن لم يحدث بيننا أي حديث حميم، وبخاصة حول موضوع الألعاب السرية بين زوجين. واقتصرت علاقاتنا على حمل امرأة ثملة، ولم يكن بالإمكان وجود مناسبة لحديث دون علم زوجي. ملتُ إلى الاشتباه بتوشي ـ كو. وإذا كان من أحد قد أعطى إشارة لكيمورا فلا يمكن أن يكون إلا توشي ـ كو. وعندما أعلنت يوم 9 شباط أنها تودّ أن تعيش وحيدةً، في سيكيدن ـ شو، أعطت سبباً هو أنها تريد أن تعيش في مكان هادئ من أجل الدراسة، ولم يكن من الصعب أن أتبينّ من هذا أنها تريد التخلّص من جوار أبويها اللذين يضيئان أحياناً المصابيح في عز الليل فتنغمر الغرف بالنور الفلوري الساطع. من المحتمل أن تكون قد لاحظت ليلةً بعد ليلةً ما يحدث في غرفة ساطعة كل هذا السطوع، لأن المدفأة كانت تشخر بقوة تمنعنا من سماع خطوِها. لذا فإني أعتقد أنها كانت على علم بكل حركات أبيها الذي يستمتع أيما استمتاع بأن يعريني، ويضعني في الأوضاع كافة؛ وأجزم أن تكون قد تحدّثت في ذلك مع كيمورا. إذ لم يمض وقتٌ طويل حتى

تبينت لي صحة افتراضاتي، ولكني استشعرتُ ذلك من قبل، عند قراءة يوميات 14 كانون الثاني. باختصار، لقد عرَفَتْ توشي ـ كو قبلي أن أباها يعرّيني ويستمتع بجسدي، ولا بد أنها قالت ذلك لكيمورا.

ترى لأية غاية حدّث كيمورا زوجي عن ذلك الجهاز وأشار عليه أنه يستطيع أن يلتقط صوراً لجسدي العاري؟ نسيتُ أن أسأله عن هذا الموضوع، لكني أجزم أنه كان ينوي التأكد من نوايا زوجي. كان يقصد أنه سيتمكّن ذات يوم من امتلاك هذه الصور العارية التي يلتقطها زوجي. وربما شكّ في أن زوجي لن يكتفي بالبولارويد، وأنه سيستخدم الزيس ـ أيكون، وأنه، أي كيمورا، سيظهّر هذه الصور. ربما لم يتوقّع ذلك بكل تفصيلاته، لكنه شعر أن الأمر سيكون كذلك في خطوطه العريضة.

كتبتُ يوم 19 شباط: «لا أستطيع أن أكتشف حالة توشي ـ كو النفسية» في الواقع كنتُ أفهمها إلى حدٍّ معين. وهكذا كما قلتُ، أجزم أنها قالت لكيمورا عما يحدث بيني وبين زوجي في غرفة نومنا. كانت تحبّ كيموراً سرّاً: «وفي الحقيقة، كانت تغذّي مشاعر عدائية نحوي» وكنتُ أعرف ذلك. وشرحتُ أنها تعتقد أن «أمها، ذات الطبيعة الحسّاسة، لم تكن لتتحمّل متطلّبات الحياة الزوجية...» وأن أباها «كان يرغمني على الانغماس في ملذات تزعجني» وعندما اهتمّت بصحتي صارت تكره أباها. وزوجي، إذ ركبته نزوة غريبة، فكّر أن يقرّبني من كيمورا، وبما أن كلينا لا يبدو معارضاً لهذه الفكرة، فقد كرهت أباها وكرهتني في آنٍ معاً. وسرعان ما تنبّهتُ لذلك. ولكن هذه الفتاة، المتكتّمة مثلي أنا، تعرف أنه، رغم فارق يصل إلى عشرين سنةً فقد كان شكل أمها وسحرها يتجاوزانها. وبما أن حب كيمورا تديره أمها،

فقد فهمتُ أنها تريد أن تلعب دور الوسيطة لأمها بحيث تربط خيوط العلاقات على هواها. لكني ما أزال أجهل أي تفاهم نما بينها وبين كيمورا لكي تلعبَ دور الوسيطة بيننا. على سبيل المثال، عندما استأجرت غرفةً في سيكيدن ـ شو، أعتقد أن ذلك لم يكن لأنها لا تستطيع تحمّل المصابيح الفلورية الساطعة فحسب، بل لأنها كانت ترغب منذ البداية أن تقترب من نزل كيمورا. ترى هل أتتها هذه الفكرة من تلقاء نفسها؟ قال كيمورا إن توشي ـ كو رتّبت كل شيء بإرادتها، وأنه لم يوحِ إليها بشيء. ولكن هل هذا صحيح؟ أنا لا أثق به من هذه الناحية.

ومثلما كانت توشي ـ كو تغار مني، فقد كنتُ، أنا أيضاً، أتحرّق غيرةً منها. مع ذلك، اجتهدتُ في ألا أبينّ لها شيئاً من هذا، كما إني لم أتحدّث عن هذا الأمر في مذكراتي. وهذا يعود إلى طبيعتي المتكتّمة، كما يعود أيضاً إلى أني، إذ أريد أن أتفوّق على ابنتي، فقد انجرح شعوري، ولم أكن أريد ذلك. وفضلاً عن ذلك، كان لدي سبب آخر لأشعر بالغيرة من توشي ـ كو، ربما كان كيمورا يحب توشي ـ كو بالفعل، وأخشى ما أخشاه أن يعرف زوجي بذلك.

وكتب زوجي: «لو كنتُ في مكان كيمورا وسُئلتُ: أي المرأتين تجتذبني أكثر؟ لأجبتُ مباشرة: الأم، رغم سنّها» ولكنه أضاف وهو فريسة للشك: «ما رأي كيمورا؟ من يعلم؟... ألا يريد الآن أن يكسب رضا الأم لكي تؤثّر على ابنتها؟». لقد شعرتُ بالاشمئزاز من هذا الشعور الذي ينتاب زوجي. كنتُ أريد أن يعرف زوجي أن كيمورا يحبّني وحدي، وأنه لا يتردّد أبداً في أن يضحّي من أجلي. لقد كانت هذه بالفعل هي الوسيلة الوحيدة لإثارة غيرة زوجي نحو كيمورا.

كتب زوجي يوم 27 كانون الثاني: «هكذا فقد عرفتُ تماماً. إن زوجتي تكتب مذكّراتها». وعلى الرغم من أن أنه أضاف: «منذ عدة أيام صحا انتباهي صحوةً غامضة حول هذا الموضوع». فلا بد أنه كان يعرف ذلك من زمن طويل، وحتى قرأ محتواها خلسةً. وعندما كتبتُ، أنا، في الآونة نفسها: «لستُ خرقاء إلى درجة أني أدَع زوجي يشكّ بأني أكتب مذكراتي» وبما أني لا أستطيع أن أقول لشخص آخر عما يعتمل في قلبي، فمن الضروري أن أكلّم عنه نفسي على الأقل. وكنتُ كاذبةً أشِرةً، فقد كنتُ أتمنّى في سرّي أن يقرأني زوجي. كان صحيحاً أني كنتُ أودّ أن أكلّم نفسي، إلا أن أحد أهدافي في الكتابة هو أن يقرأني زوجي. ولكن لماذا استخدمتُ ورق الأرز هذا الذي لايُصدر أي حفيف عندما يقلّب؟ ولماذا ختمتُ دفتري بورق لاصق؟ كان فعلاً عبثياً، مدفوعاً بحبي للتكتّم فقط. لقد تصرّفتُ هكذا إزاء زوجي رغم أنه كان يسخر من ولعي بالسريّة. ورغم أن كلينا كان يعرف أن الآخر يقرأه خلسةً، فقد أقمنا حواجز في طريقنا، وعقبات مختلفة، لكي يُرغم كلٌّ منا شريكه على القيام بحيلٍ طويلة دون أن يعرف إن كان سيصل إلى غاياته أم لا. تلك كانت تسليتنا. ولم يكن تجشّمي عناءً بلا حدود باستخدام الشريط اللاصق لمجرّد الاستمتاع شخصياً، بل عندما تصرّفتُ هكذا كنتُ أسبق أهواء زوجي.

في 10 نيسان حين كتبتُ أولَ مرة في مذكّراتي أن صحة زوجي لم تكن طبيعية: «تُرى هل لمّح زوجي في مذكراته إلى ملاحظة تتعلّق بحالته الصحية المقلقة؟... إلى أي حدٍّ كان تفكيره منشغلاً برأسه، وبجسمه؟ بما أني لا أقرأ مذكراته، لا يمكنني أن

أضع فرضيات بهذا الشأن؛ ومع ذلك، منذ شهرٍ أو شهرين، لاحظتُ تغيّرات في نمط حياته». فقد اعترف زوجي بذلك فيما كتبه يوم 10 آذار. إذن، قبل أن أكتب هذا الشاغل في مذكراتي، ألم أكن مطّلعةً من قبل؟ مع ذلك في البداية تظاهرتُ بأني لم ألاحظ شيئاً، وكان ذلك لأسباب متعدّدة، أولاً كنتُ أخشى أن أجعله عصبياً بلا فائدة، ولا سيما أن هذه العصبية المفرطة كانت ستؤدي به إلى تحفّظ كبير في متعه الغرامية. من المؤكد أن حالته الصحية أقلقتني، ولكن لم يكن أقلّ صحةً من هذا أني كنتُ محكومة بطبع لا يعرف الارتواء أبداً. لذا حاولتُ أن أُنسيه الخوف من الموت، وأن أؤجّج غيرته بوساطة «دواء كيمورا المحفّز».

مع ذلك تغيّرت حالتي النفسية شيئاً فشيئاً بدءاً من شهر نيسان. وطوال شهر آذار كتبتُ، من أجل زوجي على الأقل، أني لم أتجاوز «حدّي الأخير»، واجتهدتُ في أن أجعله يظن أني بقيتُ مخلصةً له. في الواقع، مساء 25 آذار سقط الحاجز الأخير «الرقيق كورقة» الذي كان يفصلني عن كيمورا. ولم يكن الحوار العجيب الذي كتبتُه في اليوم التالي، يوم 26، إلا كذبة مخصّصة لإضاعة زوجي. وفي بداية نيسان، حوالى 4 منه أو 5 أو 6، ارتسم في عقلي قرار كبير، أنا التي قادني زوجي خطوةً خطوةً نحو الهاوية التي أعيش فيها. لقد أخطأتُ وأنا أقول لنفسي لو أني أسأتُ إلى الأخلاق مقابل الألم، فقد تصرّفتُ بطريقةٍ أبقى فيها نموذجاً للمرأة التي تحترم المبادئ القديمة تلبيةَ لمتطلّبات زوجي. ولكن بدءاً من تلك اللحظة خلعتُ قناع الكذب. اعترفتُ لنفسي بصراحة تامة أن حبي لم يكن لزوجي، بل لكيمورا. وعندما كتبتُ في 10 نيسان: «لم يكن زوجي هو الوحيد الذي

صحته سيئة، فصحّتي أنا لم تكن أفضل» كان هذا الكلام يُخفي أسراراً متعمّدة. في الحقيقة لم أكن مريضةً أبداً، بل بصقتُ الدم مرتين أو ثلاثاً عندما كانت توشي ـ كو في العاشرة «وقيل لي آنذاك إني أعاني من سلّ رئوي تشير أعراضه إلى أنه وصل إلى الدرجة الثانية... لم أعبأ بنصائح الأطباء، وأهملتُ صحتي إلى أبعد حد» ولحسن الحظ: «شفيتُ شفاءً طبيعياً تماماً، بعكس كل التوقّعات». ومنذ ذلك الحين لم أُصب بأية انتكاسة.

حتى هذه التصريحات: «ذات يوم من أيام شباط، صعد إلى شفتيّ، مثل الماضي تماماً، زبدٌ مشوب ببعض خيوط الدم... وكل يوم، عندما يحلّ العصر، أشعر بالتعب... وأحسّ بألم ممضٍّ في صدري بين وقتٍ وآخر... من الممكن أن تكون حالتي قد تفاقمت شيئاً فشيئاً، وأنه لم يعد لدي من أمل... وأخشى أن يكون ذلك خطراً...» كان هذا كله عبارة عن نسيج من الكذب المخصّص لقيادته إلى الموت بأسرع ما يمكن.

«وأنا أيضاً ألاعب الموت؛ إذن انتبه، من ناحيتك!» هذا ما كنتُ أودّ أن أُسمعه إياه.

وكل ما وُجد في مذكراتي حتى الآن، كُتب للغاية نفسها وحسب. لم أكن لأكتفي بالكتابة، بل كنتُ مستعدّةً لألعب لعبة بصق الدم. كنتُ أثيره دون أن أعطيه الوقت ليتنفّس. واستنفدتُ كل الوسائل لأرفع توتّره باطّراد. (حتى بعد الهجمة الأولى لم أرعوِ، وواصلتُ إثارة غيرته بألاعيب صغيرة). وكان كيمورا قد توقّع منذ بعض الوقت أن الانهيار بات وشيكاً، وكانت ثقتي أكثر، وربما توشي ـ كو كذلك، في حدس كيمورا الثاقب من ثقتي في حكم الأطباء.

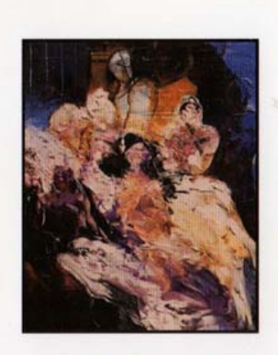
لا أستطيع أن أنكر أن دماً شهوانياً يسيل في عروقي، ولكن ما هي الأسباب التي دفعتني إلى نسج موت زوجي؟ ومتى وكيف تسلّلت فكرةٌ كهذه إلى عقلي؟

مهما كان شرف قلبٍ، فهل يستطيع أن يحيد عن الطريق القويم إذا كان خاضعاً لضغط هائل، ومتكرّر من رجل مثل زوجي، وللعقل المتحلّل والسيئ الطوية؟ لكن في حالتي أنا، التي كان عقلها عقل امرأة حسنة التربية، وترعرعت على التقاليد الإقطاعية القديمة، رغم التربية التي ربّاني عليها أهلي، ورغم البيئة التي كبرتُ فيها، ألستُ أمتلك منذ ولادتي طبيعةً مخيفة؟ لا أستطيع أن أجيب على هذه الأسئلة دون تفكير ناضج. لقد بقيتُ دائماً بالنسبة إلى زوجي امرأة شريفة، وأستطيع القول إني لطالما منحتُه الحياة السعيدة كما كان يتمنّاها.

في موضوع توشي ـ كو وكيمورا، تبقى عدة أسئلة في الظل. بيت أوساكا حيث كنا نتواعد أنا وكيمورا، كانت توشي ـ كو ستشير إليه لو أن كيمورا سألها «إن كانت تعرف بيتاً مشابهاً في مكانٍ ما»، وهذا حسب إشارات «amie très après la guerrre»، ولكن هل كان هذا هو الواقع؟ ألم تستخدم هذا البيت هي نفسها مع أحدٍ ما؟ ألا تواصل استخدامه حتى الآن؟

حسب مخطّط أعدّه كيمورا، توشي ـ كو وهو سيتزوّجان بعد مدة مناسبة، وسنسكن نحن الثلاثة هذا البيت. ومن أجل الحفاظ على المظاهر، سوف تُخلِص توشي ـ كو لأمها.

هذا ما قُرّر على الأقل...



اعترافات
خارجة عن الحياء

أستاذ جامعي في منتصف العمر، لم يعد يستطيع تلبية متطلّبات زوجته التي تصغره بنحو عشر سنوات، والتي تتحلّى بطبعٍ متطلّب.

الزوج والزوجة متكتّمان عندما يتعلق الأمر بعلاقاتهما الحميمة: الزوج بسبب الخجل؛ والمرأة لأنها احتفظت بقناع من الحشمة من التربية التي تلقّتها في كنف أسرة إقطاعية عريقة.

الزوج وبعد أن جرّب مثيرات كثيرة تبيّن له أن الغيرة مثيرٌ لا مثيل له، فقام بإلقاء زوجته في أحضان خطيب ابنته. والزوجة التي وجدت عند هذا الشاب تعويضاً هائلاً لنواقص زوجها استمرّت في تطلّبها عديم الحدود. فسقط الزوج المسكين، الذي أضنته هذه الجهود الهائلة، صريع المرض.

كل هذا مروي في ثنايا المذكرات المتعاقبة التي كتبها كلٌ من الزوجين خفيةً عن الآخر، وهو يعرف تماماً أنه يقرؤها خلسةً، ولعلّ الأكاذيب التي يراكمها كلُ منهما لكي يخدع الآخر تجعل القصة أكثر وخزاً.

على هذه التيمة، بنى تانيزاكي دراسة نفسية تلامس فائدتها المَرَضية تخومَ المأساة.

ولد جونيشيرو تانيزاكي في طوكيو عام 1886، وتوفي عام 1963، وقد شغل مكانةً مرموقة في الأدب الياباني.

انجذب في شبابه إلى الأدب الغربي الذي كان يعرفه معرفة جيدة، فقد كان عضواً فخرياً في الأكاديمية الأمريكية والمعهد الوطني للفنون والآداب، وحين بلغ سن النضج عاد إلى الاحتفاء بالقيم التقليدية في اليابان.